كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوى
(دراسة فى التشكيل السردى والدلالة)

د. سامى سليمان أحمد
كلية الآداب- جامعة القاهرة

دار الثقافة العربيـــة



كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوى

(دراسة فى التشكيل السردى والدلالة)

الكتاب: كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوى
(دراسة فى التشكيل السردى والدلالة)

المؤلف: د. سامى سليمان أحمد

الناشر: دار الثقافة العربية

رقم الإيداع : ٢١٠١٤ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N.
977-222-261-2

تقديـــم

تعددت إسهامات رفاعة الطهطاوى فـــى مجـــالات الحيـــاة الثقافية والفكرية والأدبية المصرية طوال عقود مـــن القـــرن التاســـع عشر، وظلت هذه الإسهامات مؤثرة فى الأجيال التالية له فى القرنيـــن التاسع عشر والعشرين. ولقيت معظم هذه الإسهامات عناية من كثـــير من دارسى الأدب والفكر العربى الحديث فى مجالاتـــهما المختلفـــة، فتعرف القراء على كثير من اجتهادات الطهطاوى فى ميـــادين الأدب، والتاريخ، والتربية، والترجمة، والاجتماع، والفكر السياسى، وغيرها.

ولم تلق كتابة الطهطاوى السيرة النبوية، التى ضَمَّها كتابـــه "نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز" إلا قليلا من اهتمـــام دارســـى كتاباته التاريخية، بينما تجاهلها دارسو كتابة الســـيرة النبويـــة لـــدى العرب المحدثين، ودارسو مرحلة نشأة الأنواع السردية الحديثة فـــى الأدب والمجتمع العربى الحديث.

وتسعى هذه الدراسة إلـــى قـــراءة الســـيرة النبويـــة عنـــد الطهطاوى قراءة تنطلق من منظور أن متن السيرة النبوية يقع، مـــن حيث طبيعته النوعية، فى المنطقة التى يتصل فيها الأدب بالتـــاريخ، بينما يعد هذا المتن، من حيث جوهره الكتابى، متنًـــا ســـرديًا ســـعت

الجماعة العربية عبر تاريخها الطويل، إلى تحميله برؤاها، المتراكمة، للبطل ودوره فى تشكيل التاريخ.

وقد فرض هذا المنظور، وضع نص الطهطاوى فى عدة أُطر ثقافية وأدبية واجتماعية، متوالية ومتزامنة فى الآن نفسه، حتى يمكن، من ناحية، استكشاف هوية التشكيل السردى لمتن السيرة عند الطهطاوى،واستنباط الدلالة التى حملها ذلك المتن لدى الطهطاوى، من ناحية أخرى.

وتتمثل هذه الأُطر فى وضع نص الطهطاوى وضع مقارنة مع كتابات السابقين عليه السيرة النبوية بوصفها نصًا سرديًا، ودراسة علاقة كتابة الطهطاوى السيرة النبوية باللحظة الأدبية الاجتماعية التى تم فيها فعل الكتابة؛ وهى لحظة ميلاد الأنواع السردية الحديثة فى الأدب العربى، والكشف عن طبيعة وعى الطهطاوى المثقف، الكاتب، بالأشكال السردية العربية الوسيطة، ومثيلاتها من الأشكال الأوروبية الوسيطة والحديثة.

بينما مثل إطار التلقى الذى مارس الطهطاوى - فى سياقاته المتعددة- فعل الكتابة، الإطار الأخير الكاشف عن هوية الدلالة التى ينطوى عليها متن السيرة فى كتابة الطهطاوى.

ولقد أفضى وضع متن السيرة النبوية عند الطهطاوى فى تلك الأُطر السابقة إلى الكشف عن هوية المتن السردى للسيرة فى كتابة الطهطاوى، ودور العناصر السردية المختلفة؛ من وحدات سردية متنوعة ومن تقنيات متعددة ، فى بلورة كتابة الطهطاوى.

كما كشف عن العلاقات المتنوعة التى أنشأها متن الطهطاوى مع أنماط كتابة السيرة النبوية السابقة عليه؛ بما تنطوى عليه هذه الأنماط من تقاليد كتابية وثقافية (واجتماعية أيضًا).

وأدى ذلك الوضع إلى إبراز الصلة الوثيقة التى ربطت كتابة السيرة النبوية عند الطهطاوى بالأشكال السردية التى كانت تتخلق فى رحم الثقافة والمجتمع العربى آنذاك، ولاسيما الرواية التاريخية والرواية التعليمية.

وقد تبدى - عبر الدرس والتحليل- أن إعادة ضم نص الطهطاوى إلى دائرة تلقيه الأولى تكشف عن تعدد مستويات الدلالة التى بطنت هذا النص.

وتظل هذه الدراسة "مجرد" محاولة لإعادة قراءة نص دال من نصوص الطهطاوى، وبما أنها كذلك؛ يظل ما قدمته، أو ما أضافته إلى ما قدمه دارسو كتابات الطهطاوى، رهينًا بمدى قدرة

الدارس القارئ على الإفادة من بعض أُطروحات وإجراءات ومفــاهيم بعض الاتجاهات النقدية المعاصرة، لاستكناه ما لا يبــوح بــه نــص الطهطاوى "لقارئه" إلا بالسعى المتواصل إلى الفهم، وإعادة اســـتنباط ما يخفيه النص، أو ما لا يصرح به "مجانا".

ويبقى أن الصياغة الأولى لهذه الدراسة قد قُدمت إلى النــدوة الدولية التى عقدها المجلس الأعلى للثقافة، فى الفترة من ١٨ إلــى ٢٠ إبريل ٢٠٠٢، تحت عنوان " رفاعة الطهطاوى. . . رائد التنويـــر"، ولقيت استجابة طيبة لدى عدد من المشاركين، فى هذه النــدوة، كمــا أبدى بعضهم ملحوظات شجعت الدارس على إعـــادة تــأمل بعــض أفكاره أو استنتاجاته.

يمثل رفاعة الطـــهطاوى (١٨٠١- ١٨٧٣م) نموذجــاً للمثقــف العربى في أولى مراحل النهضة العربية الحديثة التى بزغـــت مــع بدايات القرن التاسع عشر ، وقد فرضت تلك المرحلـــة علـــى ذلــك المثقف الحديث والمحّدث أن يســـهم بكتاباتـــه فـــى مجـــالات ثقافيـــة واجتماعية متعددة. وقد جسد الطهطاوى هـــذا النمـــوذج؛ إذ جمعـــت كتاباته بين عمل المفكر الاجتماعى والتعليمى ، والصحفى، والأديـــب (الشاعر والناثر) ، والمؤرخ غير المحترف، ومَثَّل منحاه الإصلاحـــى العنصر الأساسى الرابط بين كتاباته التى تؤكد - بتنوعـــها - ســـعى الطهطاوى إلى الوفاء بما يتطلب واقعه.

وقد التفت مؤرخو الأدب العربى الحديث ودارسو مراحل نمـــوه وتطوره ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، إلـــى الإســـهامات التى قدمها الطهطاوى فى مجالات الأدب العربى فى القـــرن التاســـع عشر ؛ إذ جمع طه وادى شعره وصنع له ديواناً ودرس شعره؛ حيـــث وضعه فى إطار تيار التطور والتجديد عند الشعراء المجـــهولين فـــى القرن التاسع عشر (١) ، وبذلك كشف عـــن جـــانب مـــن إســـهامات الطهطاوى الأدبية التى ظلت بعيدة عن اهتمام مؤرخى مرحلة بدايـــات الأدب العربى الحديث. ويبدو أن إسهامات الطهطاوى فـــى مجـــالى النثر والسرد الحديث كانت أكثر عناية من شعره باهتمامات عدد مـــن مؤرخى الأدب العربى الحديث ؛ إذ توقف عبد المحسن بدر عند كتابـــه "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" وترجمته لرواية فينيلون "وقـــائع

تليماك" - التى أعطاها الطهطاوى عنوان "مواقع الأفلاك فـــى وقـــائع تليماك" - ودرسهما فى إطار بداية نشأة الرواية التعليمية فـــى القـــرن التاسع عشر، وإن اختلف تقييمه لدور كل منهما فى ذلـــك الإطـــار ؛ فبينما وصف الكتاب الأول بأنه لا يمكن [اعتبــــاره بدايــــة للروايــــة التعليمية إلا بكثير جداً من التجاوز] (٢) ، فإنه عـــدّ وقـــائع تليمـــاك [أول مظهر من مظاهر النشاط الروائى فى مصر فى القرن التاســـع عشر] (٣) . بينما توقف كل من عبد اللطيف حمزة وعمر الدســـوقى عند مقالات الطهطاوى؛ الأول فى كتابه "أدب المقالة الصحفيـــة فـــى مصر"، والثانى فى كتابه "نشأة النثر الحديث وتطوره" ، ولما كان أهـــم ما شغلهما فى كتابيهما هو تغير اللغة العربية للوفاء بمتطلبات التطـــور والتحديث فى القرن التاسع عشر، فقد توقفا عند مســـتويات أســـاليب اللغة فى كتابات الطهطاوى النثرية ، فبينما رصـــد الدســـوقى وجـــود أسلوبين مختلفين فيها أطلق عليهما الأســـلوب المرســـل والأســـلوب المسجوع (٤) ، فإن عبد اللطيف حمزة قد ميز بين ثلاثة أساليب فـــى كتابات الطهطاوى هى: أسلوب تـــأليف الكتـــب، وأســـلوب تســـويد الصحف، وأسلوب الترسل الأدبـــى البحـــت محـــاولاً أن يكشـــف - بانطباعية واضحة - سمات كل منها (٥).

وقد حظيت إسهامات الطـــهطاوى فـــى الكتابـــة التاريخيـــة الخالصة مثل "أنوار توفيق الجليل فى توثيق مصر وبنى إســـماعيل"، أوغير الخالصة مثل "مناهج الألباب المصريـــة فـــى مبـــاهج الآداب العصرية" باهتمام دارسى الكتابة التاريخية واتجاهات التـــأريخ فـــى

مصر فى القرن التاسع عشر، على نحو ما يتجلى فى دراستى جمال الدين الشيال عن "التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر" و " جاك كرابس جونيور" عن "كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر : دراسة فى التحول الوطنى" (٦).

وإذا كان الطهطاوى كتب السيرة النبوية وقدمها تحت عنوان "نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز" فإن كتابته تلك لم تلق اهتماماً كافياً سواء من قبل مؤرخى الكتابة التاريخية، أو دارسى كتابة السيرة النبوية فى العصر الحديث ، أو مَنْ درسوا الطهطاوى وكتاباته المختلفة، بينما تجاهلها تماماً دارسو الأشكال السردية الحديثة . فمحمد عبد الغنى حسن جعل من كتاب محمد الخضرى "نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين" ، والصادر فى عام ١٨٩٥ ، [بداية التأليف العلمى فى سيرة الرسول فى عصرنا الحديث] على الرغم من أن كتاب الطهطاوى يسبقه بما يربو على عقدين من الزمان، بينما تجاهل "ويسيلز" Antonie wessels في دراسته عن "السير الحديثة عن حياة النبي محمد في العربية " سيرة الطهطاوي (٧) .

وإذا كان جمال الدين الشيال قد وصف كتاب الطهطاوى بأنه سيرة جديدة التزم الطهطاوى [فى كتابتها المنهج العلمى المعترف به لكتابة التاريخ فى عصره] (٨) فإنه قد اكتفى بتلخيص الكتاب دون أن يكشف جوانب الجدة فيه. والأمر نفسه يكاد ينطبق على ما قدمه أحمد بدوى وحسين فوزى النجار؛ فقد عرض النجار لكتب الطهطاوى، التاريخية ووصفها بأنها [كانت أهم كتبه وأجدرها بالبقاء] (٩) ثم قدم

عرضاً موجزاً لنهاية الإيجاز ، وانتهى إلى تقييمه بالقول إن رفاعة لم يأت [فى كتابة السيرة بجديد ، فنراه يسير على نهج من سبقه من المؤرخين مؤيداً من حيث المنطق الجدلى ما سبق أن جاءوا به دون أن يلجأ إلى التحليل والاستقراء العلمى الذى افتتح به "هيكل" نمطًا جديدًا فى كتابة حياة الرسول الكريم ، وإن كنا لا نغمطه حقه فى التأريخ لنشأة الحكومة الإسلامية على عهد النبى حيث رأى فى أعماله (عليه الصلاة والسلام) نواة للنظام الإسلامى فى نموه وتطوره من بعد] (١٠).

ونحا محمد حامد الحضيرى فى دراسته " رسول الإنسانية محمد " صلوات الله عليه فى الأدب العربى الحديث" منحى مقاربًا لمنحى النجار؛ فبعد أن وصف كتاب الطهطاوى بأنه [أدخل فى باب التاريخ منه إلى الفن الأدبى] (١١) علل ذلك بأنه [كان عرضا تاريخياً لا يعدو على العموم- المضامين القديمة التى لا تخلو من عدم التحقيق التاريخى] (١٢) ، ثم اكتفى بتلخيص بعض أفكار الطهطاوى السياسية حول الدولة الإسلامية (١٣).

ونستطيع أن نتأمل كتاب الطهطاوى من منظور مختلف عن منظورات قراء الكتاب السابقين ، وهو منظور التشكيل السردى الذى قدمه الطهطاوى فى كتابته السيرة النبوية، بما ينطوى عليه ذلك التشكيل من وحدات وتقنيات وطرائق سردية اعتمدها الطهطاوى لينقل بواسطتها – من ناحية – رسالة ضمنية حملتها كتابته ، وليسهم ، من ناحية ثانية ، فى تقديم نمط جديد من أنماط

كتابة السيرة النبوية بوصفها نصًّا سرديًا ، وليساهم ، من ناحية ثالثة ، فى إنشاء تقاليد كتابة بعض الأنواع السردية الحديثة فى الأدب العربى.

وبقدر ما تكشف النواحى الثلاث السابقة عن منحى التجديد الأدبى لدى الطهطاوى فإنها تتطلب إضاءة عدة أطر تتمثل فى أنماط كتابة السيرة النبوية- بوصفها نصًا سرديًا - لدى السابقين على الطهطاوى ، وعلاقة كتابة الطهطاوى السيرة بلحظة نشأة الأنواع السردية الحديثة فى الأدب العربى ، ووعى الطهطاوى بالأشكال السردية العربية الوسيطة ، ومستويات تلقى نص الطهطاوى ودور الوسيط الثقافى الذى نقله إلى المتلقى فى تحديد كيفيات التلقى ، وعلاقة كتابة الطهطاوى بالموقف أو الرسالة التى ضمَّنها تلك الكتابة.

وقبل إضاءة تلك الأطر ثمة حاجة لوقفة قصيرة لوصف النص الذى تعتمد عليه هذه القراءة ، وكيفية نشره ، واختلافات الطبعة التى نعتمد عليها عن نشرته الأولى.

تعد هذه السيرة وكتاب "المرشد الأمين للبنات والبنين" آخر كتابات الطهطاوى ، وقد نشر فصول "نهاية الإيجاز" فى ثلاثة وأربعين عدداً من أعداد مجلة "روضة المدارس" فى سنواتها الثالثة والرابعة والخامسة .ويتكون النص المنشور فى "روضة المدارس" من ستة أبواب ، وتتفق الأبواب الخمسة الأولى منه مع الطبعة المحققة ، بينما عَنْوَن الطهطاوى الباب السادس على النحو التالى :

الباب السادس فى الوظائف والعمالات البلدية ، خصوصية وعمومية، أهلية داخلية جهادية ، التى هى عبارة عن نظام السلطنة الإسلامية ، وما يتعلق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول" (١٤)، ولكن المحققين جعلا من هذا الباب وما يليه كتابًا سمياه [الدولة الإسلامية: نظامها وعمالاتها]، ثم ووصفاه بأنه المتمم لكتاب " نهاية الإيجاز" (١٥).

وفى نهاية العدد الثالث والأربعين من "روضة المدارس" هناك فقرات - حذفها المحققان - يقرر فيها على رفاعة أن الطهطاوى قد أتم قبل موته تسويد كتابى" نهاية الإيجاز" و "المرشد الأمين" ، وقد راجع نهاية الإيجاز حتى الفصل التاسع من الباب الثالث ، بينما تتبع على رفاعة بقية الكتاب [قراءة وتصحيحًا، حذفًا وإثباتًا] (١٦).

واللافت أن المحققين قد حذفا المقدمة التى وضعها الطهطاوى لكتابه ، والتى نشرها فى العدد الرابع من السنة الثالثة من سنوات "روضة المدارس" وهى مقدمة مكونة من صفحتين يشير فيها الطهطاوى إلى أن "نهاية الإيجاز" يمثل الجزء الثانى من "أنوار توفيق الجليل" ، ويشير إلى أن على مبارك هو الذى رأى التعجيل بنشر هذه السيرة منجمة فى " روضة المدارس" على أن تطبع كاملة بعد ذلك (١٧). ولما كان "نهاية الإيجاز" متممًا لـ " أنوار توفيق

الجليل "فقد احتل في هذا النسق ترتيب المقالة الخامسة علـــى النحـــو التالى : المقالة الخامسة: فى ظهوره صلى الله عليه وســـلم وأحوالـــه وشوؤنه ووقائعه والدخول فـــى الحيـــاة البرزخيـــة وذكـــر الخطـــط والعمالات الإسلامية التى كانت فى عهده صلى الله عليه وســـلم إلـــى استخلاف أبى بكر رضى الله عنه وفيه أبواب.

وتحمل تلك العنونة أكثر من دلالة؛ فالطـــهطاوى قـــد ربـــط "نهاية الإيجاز" بأنوار توفيق الخليل" وهذا ما يسوغ النظر إلى "نهايـــة الإيجاز" بوصفه جزءًا من كتابات الطهطاوى التاريخية، وهذا يدعمـــه تقسيم الطهطاوى كتابه إلى أبواب وفصول تحمـــل عناوينـــها دلالات مرتبطة بتتبعه حياة الرسول (ص) وبعـــض هـــذه العنـــاوين -مثـــل " الأسباب الباعثة على الهجرة" يبدو أكثر اتصالاً بعمل المؤرخ منـــه بعمل الأديب.

وفى مقابل الدلالات السابقة هناك دلالات مضادة تشير إلـــى إمكانية قراءة "نهاية الإيجاز" بوصفه كتابًا مستقلاً عن "أنوار توفيـــق الجليل" ، من ناحية ، وبوصفه كتابة تقع فى المنطقة الواصلـــة بيـــن الأدب والتاريخ من ناحية أخرى. فالطهطاوى أعطـــى كتابتـــه عـــن السيرة اسمًا مستقلا عن كتابه التاريخي ، كما أن كتابـــة الطـــهطاوى للسيرة ذات وشائج قوية فى ارتباطها بأنماط كتابات الســـابقين عليـــه للسيرة النبوية ، بقدر ما هى مختلفة عن كتابات اللاحقين له مباشـــرة أو الأجيال التالية له؛ فكتاب محمد الخضرى "نور اليقين فـــى ســـيرة

خير المرسلين" (١٨٩٥) يعد بمثابة سيرة تاريخية بالغة الاختصـــار، بينما كتاب محمد حسين هيكل "حياة محمـــــد" (١٩٣٥) يمثـــل أول دراسة تاريخية يقدمها كاتب أو مؤرخ مصرى حديث يفيد من منــاهج البحث التاريخى الغربى، ويتجادل مع كتابــات بعــض المستشــرقين حول سيرة النبى "ص".

وستتبدى طبيعة كتابة الطهطاوى عبر الأطر المختلفة التـــى تضع "نهاية الإيجاز" فى سياقاتها المتداخلة والمتفاعلة معاً.

مَرَّ متن السيرة النبوية بمراحل متعددة ومتشـــابكة ومتواليـــة إلى أن استوى نصًّا سرديًا شبه مكتمل ؛ إذ شكلت المرويـــات التـــى رواها بعض الصحابة عن حياة النبى (ص) وصفاته وسلوكه المـــادة الأولى لمتن السيرة ، وطوال القرنين الأول والثانى الهجريين بـــرزت أسماء بعض التابعين - مثل عروة بن الزبير وعاصم بن عمـــر بـــن قتادة والزهرى وعبد الله بن أبى بكر بن حـــزم وغـــيرهم - ممـــن تخصصوا فى رواية أخبار النبى . وقد وازى تطور الاهتمام بجمـــع أخبار النبى التطوّر فى علوم الحديث والتفسير والتاريخ (١٨)، وهـــذا ما يفسر ما يلحظ - منذ بداية القرن الثالث الـــهجرى - من تـــوزع الاهتمام بسيرة النبى بين أصحاب كتب طبقات المحدثين، من ناحيـــة وكتَّاب التاريخ العام من ناحية ثانية ، وكُتّاب سيرة النبى مـــن ناحيـــة ثالثة. فابن سعد (ت٢٣٠هـ) صاحب (الطبقات الكـــبرى) قـــد دوَّن سيرة النبى فى الأجزاء الأربعة الأولى من كتابه، حيث كان يعنـــون الفقرات ، ثم يسوق داخل كل فقرة مجموعة المرويات: أى الأحـــاديث والأخبار التى تقع فى دائرتها، ولا يكاد يقدم رأياً فيما يرويـــه (١٩). بينما أصَّل الطـــبرى (ت ٣١٠هـــ) فـــى كتابـــه (تـــاريخ الرســـل والملوك) تقليدًا يتمثّل فى تقديم سيرة الرسول (ص) بوصفـــها جـــزءاً من التاريخ العام ، وقد تابعه فى ذلك المؤرخون التـــالون لـــه كـــابن الأثير (ت٦٣٠) فى كتابه(الكامل فى التاريخ) وابن كثـــير (ت ٧٧٤)

فى كتابه (البداية والنهاية) وغيرهما. ولعل هذا ما يفسر ما قـــام بـــه بعض المحدثين من اقتطاع سيرة النبـــى مـــن المصـــادر التاريخيـــة وتقديمها بوصفها كتابة خاصة بالسيرة النبوية وحدها (٢٠).

ولقد تشكلت كتابة السيرة النبوية فى ثلاثة أنمـــاط مختلفـــة ؛ اثنين منها يمكن وصفهما بأنهما نمطان ســـرديان خالصـــان ، بينمـــا يمكن وصف ثالثهما بأنه يضيف إلى المتن السردى نصًا آخر شـــارحًا بعض الوقائع أو يضيف بعض معارف من علوم متنوعة.

ويمثل نمط السيرة المكتملة التى تقدم وقائع حياة النبـــى (ص) وغزواته وعلاقاته المختلفة النمط السردى الأول ، ونموذجه الأجلـــى سيرة ابن إسحاق (ت ١٥١ هـــــ) التـــى رواهـــا ابـــن هشـــام (ت ٢١٨هــ)، وقد قسم ابن إسحاق السيرة إلى ثلاثة أقسام كـــبرى هـــى المبتدأ ، والمبعث ، ثم المغازى ، وكان يقدم - سواء داخل كل قســـم من الأقسام الكبرى أو الأقسام الصغرى التى تشكل الأقسام الكـــبرى- الأخبار المختلفة ، ويقدم الوقائع مستشهداً بالأشعار سواء فـــى إطـــار سرده الوقائع، أو فى نهايتها ؛ كما فى تقديمه - فى نهاية الغـــزوات - الأشعار المختلفة التى قيلت فيها . وإذا كان ابن هشام قد هذب نـــص ابن إسحاق فإنه قد أهمل بعض مرويات ابـــن إســـحاق كمـــا حـــذف أشعاراً لم ير [أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشـــياء بعضـــها يُشنع الحديث به] (٢١).

ولقد تحول متن ابن هشام إلى المصدر الأساسى الذى اعتمده اللاحقون له سواء كانوا من المؤرخين الخلص أو من كتاب السيرة النبوية ، ويمثل كتاب "عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير" لابن سيد الناس (ت ٧٣٤) نموذجا لكتابة تتابع تقاليد سرد السيرة النبوية المكتملة التى أصلها ابن إسحاق وابن هشام ، ثم تضيف إليها تقاليد جديدة مثل تقديم مرويات مختلفة عن رواة آخرين غير ابن إسحاق ، وتقديم مرويات تمثل تحديدات أدق لمضامين بعض مرويات ابن إسحاق ، أو تصحيح بعض المرويات التى قدمها ابن إسحاق(٢٢).

ولما كان معنى مصطلح السيرة النبوية قد انصرف- فى المراحل المبكرة من رواية السيرة وتدوينها - إلى دلالة تقصره ،أحيانا،على تقديم المرويات الخاصة بمغازى الرسول (ص) فإن كتاب محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧هـ) "المغازى" يمثل نمط الكتابة فى السيرة طبقا لهذا الفهم. و يبدو أن اقتصار عمل الواقدى على فترة قصيرة من حياة النبى (ص) قد منحه فرصة وضع تقاليد خاصة فى سرد المغازي ؛ إذ ثبت كيفيات واحدة اتبعها فى سرد الغزوات المختلفة ؛ فبعد أن افتتح كتابه بذكر أسماء الرواة الذين نقل عنهم أخباره مشيرا إلى اختلاف مروياتهم أخذ يسرد [المغازى واحدة واحدة مع تاريخ محدد للغزوة بدقة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة ، ثم يذكر المغازى التى غزاها النبى بنفسه وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته ، وأخيرا

كل ذلك بالإضافة إلى وصفه لكل غزوة بأسلوب موحد ، فيذكر أولا اسم الغزوة وتأريخها وأميرها، ويكرر في بعضها اسم المستخلف على المدينة وتفاصيل جغرافية مما كان قد ذكرها في مقدمة الكتاب. وفي أماكن كثيرة يقدم لنا الواقدي قصة الواقعة بإسناد جامع - أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد . وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن ، فإن الواقدي يفردها وحدها مع تفسيرها ويضعها في نهاية أخبار الغزوة. وفي المغازي الهامة يذكر الواقدي أسماء الذين شهدوا الغزوة وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها](٢٣).

ويشكل نمط الكتابة المختصرة النمط السردي الثاني من أنماط كتابة السيرة النبوية ، وهو يشترك مع النمط السابق في تقديم الأخبار الخاصة بحياة الرسول (ص) ووقائع دعوته وغزواته المختلفة ، وتقسيم هذه الأخبار طبقا للمسار الزمني لحياة الرسول (ص)، ولكن كتاب ذلك النمط كانوا يركزون على اختيار الوقائع ، ويعرضون عن تقديم المرويات المختلفة حول الوقائع التي يعرضونها، كما يندر لدى بعضهم - كابن عبد البر - تقديم الأشعار المرتبطة بوقائع السيرة، بينما لا يورد بعضهم الآخر - كابن حزم - أيا من أشعار السيرة. ومن أبرز النماذج التي تمثل هذا النمط كتاب "الدرر في اختصار المغازي والسير" لابن عبد البر(ت ٤٦٣) ، وكتاب "جوامع السيرة" لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٩هـ) (٢٤).

وثمة احتمال أن يكون تأصل هذا النمط فـــى إطـــار كتابـــة السيرة النبوية قد أثر على كتابة بعض النصوص التى تنتمـــــى إلـــى النمط الأول ؛ فكتاب المقريزى (ت ٨٤٥هــ) (إمتاع الأســـماع بمـــا للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتـــاع) يقـــوم علـــى إيجـــاز المرويات المختلفة التى يعيد المقريزى صياغتها بلغته هو ، مقدمـــا - فى ثنايا سرده - بعض المرويـــات المســـندة إلـــى قائليـــها الأوَّل ، ومستشهدا بالقليل من أشعار الوقـــائع ، (٢٥) ، ولعـــل قيـــام كتـــاب المقريزى على لغة مؤلفه فى الصياغة ، يجعل منه متنا مختلفا عـــن متون النمو الأول التي كانت تنظيما لمجموعات مـــن الأخبـــار ذات الأسانيد.

إن متن السيرة النبوية فى معظم كتابات النمطيـــن الســـابقين يشكل نصا سرديا يقوم على تتابع عدد من الوحدات السردية الكـــبرى التى تصور حياة النبى (ص)، وإذا كانت كل وحدة سردية كبرى تقدم مرحلة مهمة ودالة من حياة شـــخصية النبـــى (ص)، فـــإن الوحـــدة السردية الكبرى يمكن أن توصف بأنها مقطع سردى طويل؛ يبدأ مـــن نقطة زمنية محددة وينتهى عند نقطة زمنية محددة، وتحمل كل نقطـــة منهما قيمة دالة فى حياة الشخصية، وما بين نقطـــة البدايـــة ونقطـــة النهاية يتشكل امتداد زمنى تملؤه عناصر سردية متنوعـــة كالوقـــائع والأخبار والأحداث وغيرها. وإذا كانت كل وحـــدة كـــبرى تشـــكل [سلسلة من الأفعال المتعاقبة] (٢٦) فإن الراوى لا يكتفى بتقديم تلـــك السلسلة عبر مسار زمنى صاعد ، وإنما يستطيع دائما أن يكسر ذلـــك

المسار بالعودة المطولة إلى الماضي أو ماضي الماضي أحيانا – ولا سيما لتأصيل نسب الشخصية – أو تقديم نبوآت بمصائر بعض الشخصيات – ولاسيما أعداء البطل – أو الاستطراد نحو كثير من التفريعات السردية التي تضعف – أحيانا – من ظهور المسار الزمني الأساسي للوقائع.

وتشكل بعض الوقائع في السيرة النبوية ما يمكن أن يسمى وحدة سردية وسطى؛ إذ تقع – من ناحية – في مدى زمني أقل من المدى الذي تستغرقه وقائع الوحدة السردية الكبرى، كما تقوم – من ناحية ثانية – على نواة صراع مباشر يحدد للراوي طريقة معينة في سرد الوقائع وتنظيمها وصياغة التفاصيل ، مما يجعل السرد أدنى إلى التركيز على خيوط متوالية زمنيا، ومتوالدة سببيا. وتمثل الغزوات الكبري نماذج دالة لتلك الوحدات السردية الوسطي ، ولعل هذا "التميز" الذي تتصف به وحدات المغازي ، هو الذي جعل عبد الله إبراهيم يصفها بأنها قد جاءت – في سيرة ابن إسحاق [بشكل وحدات شبه قصصية] (٢٧)، بينما وصف عبد الحميد بورايو الغزوة بأنها [تمثل قصة مكتملة ، لها بداية ووسط ونهاية ، وهي في الوقت نفسه ترتبط بمثيلاتها بوحدة ملحمية] (٢٨) .

وتمثل الأخبار والحكايات المختلفه نمط الوحدة السردية الصغرى، ليس في متن السيرة النبوية وحدها ، ولكن في كل أشكال السرد العربي الوسيط .

وتمثل السيرة المشروحة النمط الثالث من أنماط كتابة السيرة النبوية ، ويقوم هذا النمط على الموازاة بين نصين مختلفين ومتصلين في الآن نفسه ، ويتمثل النص الأول في متن ابن إسحاق أو ابن هشام الذى يتحول لدى كتاب هذا النمط إلى نص أصلي ، بينما يتمثل النص الثانى فى نص شارح يقدم فيه مؤلفه شرحا للألفاظ الغريبة أو إعرابا لبعض الكلمات أو العبارات الغامضة ، وتجلية لأنساب بعض الشخصيات ، وإكمالا لبعض الأخبار الناقصة، وتناولا لبعض الجوانب الفقهية أو الكلامية التى تثيرها بعض وقائع السيرة أو مواقفها.

ويبدو أن هذا النمط قد تشكل فى مرحلة تالية لتشكل النمطين الأولين ، كما يبدو أنه كان يؤدى بعض الوظائف التعليمية المباشرة ، ومن الكتب الممثلة لهذا النمط كتاب "الروض الأنف فى شرح السيرة" الذى ألفه عبد الرحمن السهيلى (ت ٥٨١)، وهو يقرر فى مقدمته أنه قد جمع فيه [من فوائد العلوم والآداب ، وأسماء الرجال والأنساب ، ومن الفقه الباطن اللباب، وتعليل النحو وصنعة الإعراب ، ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا، سوى ما أنتجه صدرى ونفحه فكرى ونتجه نظرى ولقنته عن مشيختى ، من نكت علمية لم أسبق إليها ولم أزحم عليها] (٢٩).

ولعل ذلك النص أن يكون كاشفا عن أن اكتمال نص السيرة النبوية لدى ابن هشام – فى بداية القرن الثالث الهجرى – قد جعل من شراحه يسعون إلى إفادة القارئ بتقديمهم مجموعة من المعارف

المختلفة المستمدة من مجالات الحديث والفقه وعلوم اللغة وعلم الكلام والتاريخ ، والقراءات أحيانا ، فى إضاءة النص الأصلــى للســيرة ، وذلك ما يخرج بعض هذه النصوص، وربما معظمها ، عــن إطــار الكتابة الأدبية والكتابة التاريخية ؛ يستوى فى هذا كتــاب " الــروض الأنف" وكتاب "الشفا فى حقوق المصطفى" الذى ألفه القاضى عيــاض (ت ٥٤٤ هـ) وجعل من شروحه وسيلة لعــرض بعــض المســائل الكلامية أو تقديم تفسيرات لبعض الآيات القرآنية ، أو تقديــم بعــض الأحاديث والأخبار ، أوعرض بعض مسائل القراءات القرآنية(٣٠).

شكل كل نمط من الأنماط السابقة مجموعــة مــن التقــاليد الكتابية الخاصة بمتن السيرة النبوية بوصفه نصا سرديا ، أو شــرحه لغايات مختلفة . وكانت هذه الأنماط متاحة أمــام الطــهطاوى وهــو يكتب " نهاية الإيجاز " ، وقد نقل الطهطاوى كثيرا مــن النصــوص السابقة عليه ، وكان يردها إلى مصادرها (٣١) ، لكنه أعاد صياغــة تقاليد كتابة السيرة النبوية حيث أفاد من تقاليد كتابتها لــدى أصحــاب الأنماط الثلاثة السابقة عليه (وذلك ما سيتضح تفصيلا فــى فقــرات تالية). وبقدر ما كان سعى الطهطاوى إلى إعادة صياغة تقاليد كتابــة السيرة النبوية دالا على منحاه التجديدى الذى يبدأ بتمثل المــوروث - مع السعى إليه تجاوزه - فإن فعل التجاوز لــدى الطــهطاوى يمثــل بدوره ، دالا آخر على أن كتابة الطهطاوى السيرة النبوية لم تنفصــل عن لحظتها التاريخية والأدبية؛ أى لحظة ميــلاد الأنــواع الســردية الحديثة فى الأدب العربى.

(٣)

إذا كان الطهطاوى قد قدم صياغته للسيرة النبوية فى أوائـــل العقد الثامن من القرن التاسع عشر، فإن عمله هذا يمكن وضعه فـــى إطار التيار الأساسى السائد على الرواية العربية الحديثة فى المرحلـــة الأولى من مراحل تبلورها، التى تمتد من الثلث الأخير مـــن القـــرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الأولى. وقد ساد فيها نمطـــان روائيان هما الرواية التاريخية والرواية التعليمية، ويتفق النمطان فـــى كون التعليم الهدف المشترك لكليهما؛ وإن اختلفت طبيعتـــه بينـــهما؛ فبينما كانت الرواية التاريخية تعلـــم الأحـــداث والوقـــائع التاريخيـــة الخاصة بفترة أو شخصية ما من التاريخ العربى والإســـلامى، فـــإن الرواية التعليمية - والتى يمثل كتاب "علـــم الديـــن" ١٨٨٣ لعلـــى مبارك نموذجها الأساسى فى هذه المرحلة (٣٢) - قد تغيـــت تقديـــم معارف من علوم متنوعة ، على نحو ما يصف على مبـــارك كتابـــه "علم الدين" بأنه قد [اشتمل على جمل شتى من غرر الفوائد المتفرقـــة فى كثير من الكتب العربية والإفرنجية فى العلوم الشـــرعية والفنـــون الصناعية وأسرار الخليقة وغرائب المخلوقات وعجائب البر والبحـــر وما تقلب فيه نوع الإنسان من الأطوار والأدوار فى الزمن الغـــابر ، وما هو عليه فى الوقت الحاضر وما طرأ عليه مـــن تقـــدم وتقـــهقر وتكدر وراحة وهناء وبؤس وعناء إلى غير ذلك من الشـــئون بتقلـــب

الدهور وتصرف الأمور مع الاستكثار من المقابلة والمقارنة بين أحواله وعاداته فى الأوقات المتفاوتة والأنحاء المتباينة] (٣٣).

ومن اللافت أن بدايات الرواية التاريخية قد بدأت فى لبنان فى وقت معاصر لكتابة الطهطاوى "نهاية الإيجاز" ؛ إذ قدم سليم البستانى روايات: "زنوبيا" ١٨٧١، و"بدور" ١٨٧٢، و"الهيام فى فتوح بلاد الشام" ١٨٧٤؛ وقد نشرت كلها فى أعداد مجلة الجنان. بينما قدم جميل نخلة المدور روايته "حضارة الإسلام فى دار السلام" عام ١٨٨٨. ثم بدأ جرجى زيدان - مع بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر، أى عام ١٨٩١ - تقديم سلسلة رواياته عن تاريخ الإسلام ؛ إذ قدم - فى الفترة من ١٨٩١ إلى ١٩١٤ - اثنتين وعشرين رواية صاغ فى معظمها أحداث التاريخ العربى الإسلامى* ؛ وركز فيها على بعض المراحل والشخصيات المؤثرة فيه مثل : الحجاج بن يوسف (١٩٠٢) ، وأبو مسلم الخراسانى (١٩٠٥) ، والعباسة أخت الرشيد (١٩٠٦) ، والأمين والمأمون(١٩٠٧) ، وعبد الرحمن الناصر(١٩٠٩) ، ثم صلاح الدين ومكائد الحشاشين(١٩١٣)٠ بينما اعتمد فى القليل من رواياته التاريخية على وقائع بعض الفترات التاريخية الحديثة أو المعاصرة له ، أو بعض شخصيات التاريخ العربى المصرى الحديث ، كما فى روايتيه محمد على (١٩٠٧) والانقلاب العثمانى (١٩١١).

إن تلاقى نمطى الرواية التاريخية والرواية التعليمية فى الهدف العام التعليمى العام قد يفسر مظاهر التلاقى بينهما فى طرائق الصياغة والتشكيل واستخدام تقنيات بعينها. فلما كان تعليم التاريخ - بالمعنى العام والمباشر لهذه العبارة - هو مبتغى كتاب الرواية التاريخية فإن ذلك كان يضم إلى تقديم الحقائق التاريخية المتعلقة بفترة ما ، من ناحية ، تصوير بعض الجوانب الحضارية التى تميز هذه الفترة ، من ناحية ثانية ، وتصوير الأخلاق والعادات، من ناحية ثالثة . ولعل هذا ما يفسر ما وُصف به جرجى زيدان الكاتب الروائى من أنه كان [لا ينظر إلى التاريخ على أنه مجرد أحداث سياسية](٣٤).

أما على مبارك فقد كان يختار فى "علم الدين" تقديم [الموضوعات التى يحتاج إليها قارئ عصره، لكى تكتمل صورة المعرفة أمام عينيه] (٣٥).

وكان حرص كاتب الرواية التاريخية على أن يقدم لقارئه الحقائق والأحداث التاريخية الكبرى فى الفترة يكتب عنها دافعا له على أن يثبت المراجع التاريخية التى اعتمد عليها سواء فى بداية الرواية أو فى نهايتها أو فى مواضع مختلفة منها، على نحو ما يبدو لدى جرجى زيدان وجميل نخلة المدور (٣٦). وذلك ما يفسر ما تأصل لدى عدد من كتاب هذا الشكل من مبدأ إلزام الكاتب نفسه بذكر الحقائق كما كانت [وغير واصف الأشياء إلا بصورها] (٣٧).

ولقد أفرز ذلك ظاهرة متكررة تتمثل في حرص كتاب الرواية التاريخية على إسناد الأخبار والمعلومات إلى مصادرها. وبقدر ما تشير هذه الظاهرة إلى ارتباط هؤلاء الكتاب ببعض طرائق نقل الأخبار - التاريخية وغير التاريخية - في الأشكال السردية العربية الوسيطة - فإنها تشير أيضا إلى أن الجمهور الذى كان يتوجه إليه هؤلاء الكتاب إنما هو جمهور تعد "التقليدية" سمة مؤثرة في ثقافته ؛ إذ كان يطالب كتاب هذا الشكل بالحرص على "المرويات الصحيحة" مما كان يدفع بعض الكتاب - مثل جميل نخلة المدور - إلى إعادة صياغة بعض الوقائع وتناولها [بشئ من التهذيب والتنقيح وتبديل الروايات الضعيفة بما هو أصح وأثبت عند أئمة النقل] (٣٨).

وكان كتاب الرواية التاريخية يسعون إلى تقديم وصف تاريخي وجغرافي دقيق ومفصل وموثق للأماكن التي تدور فيها أحداث رواياتهم ، بينما نحا بعضهم، أحيانا، إلى الاهتمام بإيراد التفاصيل التاريخية أكثر من العناية بإحكام [الخيال في خلق صورة حية واقعية] (٣٩) للمجتمعات أو الفترات التاريخية التي يصورونها.

وقد دفع المسعى التعليمي المباشر كتاب الرواية التاريخية إلى الاتكاء على تقنية الاستطراد؛ إذ كان كاتب هذا الشكل يتخذ من أحداث روايته وسيلة لتقديم معلومات عن عصرها، أو تقديم النصائح والمواعظ والحكم والتوجيهات المباشرة (٤٠). كما تتجلى الظاهرة نفسها في "علم الدين"؛ حيث ينتقل الراوى بين عدة مسامرات تختلف

فى موضوعاتها مما يضعف من دور الرابطة الأساسية التى تربط هذه المسامرات (٤١).

لقد كان كتاب نمطى الرواية التاريخية والرواية التعليمية يسعون - كل بطريقته - إلى اتخاذ التشكيل السردى وسيلة "ناجعة" لتعليم جمهور المتلقين ، وهذا ما حدد دور " الخيال" فى تشكيل حبكات أعمالهم؛ إذ ثمة صيغ مختلفة لتشكيل الحبكة؛ منها صيغة تقوم على الجمع بين حكاية وقائع تاريخية وحكاية متخيلة غالبا ما تكون حكاية عاطفية؛ وإذا كانت الحكاية الأولى تتشكل من عناصر قدمتها المصادر العربية القديمة عن الشخصية أو الفترة موضوع الرواية، فإن الحكاية المتخيلة قد تستند إلى شخصيات تاريخية يملك الكاتب حرية الإفاضة فى سلوكها أو ابتكار أحداث تنسب إليها أو مجاوزة بعض الأطر التاريخية فى تصويره لها ، على نحو ما يبدو فى تصوير جرجى زيدان لشخصية أبى العتاهية فى روايته "العباسة أخت الرشيد"(٤٢).

وبينما قامت معظم روايات زيدان على تلك الصيغة من الحبكات فإن ثمة صيغة أخرى، قدمها جميل نخلة المدور، هى صيغة الرحلة الخيالية إلى فترة تاريخية سابقة ؛ فروايته "حضارة الإسلام فى دار السلام" تصور رحالة فارسيا يطوف معظم البلدان الإسلامية فى المئة الثانية للهجرة ، ويلتقى بعدد من رجال العصر العباسى ويتصل بالبرامكة بصفة خاصة ، ويقدم رحلته - إلى المتلقى - فى

إطار مجموعة من الرسائل التى تصور للمتلقى كثيرا مـــن جوانـــب العصر الذى ارتحل إليه.

وتمثل حبكة رواية "علم الدين" الصيغة الثالثـــة مـــن صيـــغ الحبكات ، وهى صيغة تقوم على الجمع بين حكايـــة رئيســـية تمثـــل حكاية الإطار ، وهذا ما تجسده علاقة علم الدين بالرجل الإنجلـــيزى ، سواء فى مبتداها أو تطورها أو نهايتها - وحكايات أخـــرى فرعيـــة تتصل - بطريقة أو بأخرى - بحكاية الإطار ، وتنشأ هذه الحكايات - دائما - من دورانها حول شخص واحد كما فى قصة يعقوب أو قصـــة المصرى المغترب(٤٣).

إن وضع كتابة الطهطاوى السيرة النبوية فى "نهاية الإيجـــاز" فى توازيها الزمنى مع تأصيل الرواية التاريخية والروايـــة التعليميـــة يكشف عن كثير من جوانب التلاقى بينهما، التـــى يمكـــن أن يكـــون بعضها دالا- بدوره- على بعض صور التفاعل بين تشكيل الروايـــة التاريخية وبنية بعض الأشكال السردية العربية الوسيطة. فـــإذا كـــان كاتب الرواية التاريخية يحرص على الاعتماد على مرويات تاريخيـــة "موثـــقة" ويشير إلى مصادره ، فإن كتابة الطهطاوى كـــانت تحقـــق الشرط ذاته مستجيبة فى ذلك إلى "خصوصية" متن السيرة فى إطـــار الثقافة العربية الوسيطة ؛ بمعنى أن حرص المهتمين بالسيرة النبويـــة - فى عديد من العلوم فى الحضارة الإسلامية - على تحقيـــق نســـبة الأحداث والوقائع إلى النبى (ص) قد حدد مجال الابتكار أمام كـــاتب السيرة إذ أصبح ماثلا فى التأكد من صحة الأخبـــار ، ثـــم اصطفـــاء

بعضها أو الكثير منها مع التخلى عن كثير من التفصيلات أو المرويات الخلافية. ولعل ذلك ما شكل مبدأ لكتابة السيرة النبوية حتى لدى الأجيال التالية للطهطاوى؛ فطه حسين فى " على هامش السيرة" ١٩٣٣ قد منح نفسه [الحرية فى رواية الأخبار واختراع الحديث (...) إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبى، أو بنحو من أنحاء الدين] (٤٤) حينئذ كان يلتزم [ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ، ورجال الرواية وعلماء الدين] (٤٥) حيث كان يرد الأخبار إلى مصادرها الأولى.

وبقدر ما كان الشرط السابق يقيد خيال كاتب السيرة فى ابتكار بعض أحداث أو وقائع، فإن ضخامة مرويات السيرة - لاسيما عند كتاب النمط المطول - كانت تعطى كاتب السيرة المحدث فرصة اختيار مجموعة من الأحداث والوقائع ليشكل منها هيكلا سرديا متصلا ، وهو الموقف نفسه الذى كان يقفه كاتب الرواية التاريخية إزاء المواد التى تقدمها له المصادر التاريخية العربية القديمة والوسيطة.

ولما كان هدف الطهطاوى من كتابة السيرة يتصل بأهداف كتاب الرواية التاريخية والتعليمية ، فقد كانت تقنية الاستطراد فى السرد تقنية مشتركة بين كتابته وكتابتهم.

وستتبدى الجوانب السابقة بتفصيل أكبر فى فقرات تالية، ولكن ذلك لن يتحقق إلا بعد الوقوف على مدى وعى الطهطاوى بالأشكال السردية المختلفة ووظائفها.

تقع سيرة الطهطاوى فى المنطقة الوسطى بين التاريخ والأدب ، وكانت كتابة الطهطاوى لها تتصل - بقدر تماسها مع الرواية التاريخية والرواية التعليمية - بمرحلة الإحياء التى ينتسب لها فكر الطهطاوى وكتاباته المختلفة. ويتبدى اتصال الإحيائية بكتابة الطهطاوى "نهاية الإيجاز" من كون الطهطاوى قد أعاد إحياء ذلك الشكل السردى بعد أن توقفت كتابته فى مصر لمدة أربعة قرون؛ إذ إن آخر الكتابات المصرية السابقة على الطهطاوى هو كتاب المقريزى "إمتاع الأسماع" (٤٦). ويتصل بذلك الإحياء بعدان يتعلق أولهما بالصلة بين الأدب والتاريخ ودورها فى تحديد طريقة كتابة السيرة وتقديمها بوصفها شكلا سرديا. بينما يرتبط ثانيهما بوعى الطهطاوى بالأشكال السردية العربية الوسيطة والقديمة. ولا ينفصل عن هذين البعدين تصور الطهطاوى لمهمة الأشكال السردية والأنواع الأدبية الحديثة.

يتبدى البعد الأول الكاشف عن الصلة بين الأدب والتاريخ لدى الطهطاوى فيما يظهر فى مواضع مختلفة- على قلتها - من كتابات الطهطاوى بتناول الأدب أو بعض جوانبه أو بعض قضاياه (٤٧) أو ما يبدو من اهتمامه النسبى بتناول مسائل كتابة التاريخ ووظائفه. واللافت أن تناول الطهطاوى لمسائل الأدب يركز

فيه - على عادة غيره من الإحيائيين - على الشعر ، بينما يغلب أن يتصل تناوله للنثر عامة أو السرد خاصة بتناوله للتاريخ .

ولقد كشف الطهطاوى فى تناوله للشعر العربى الجاهلى - فى إطار كتابه "أنوار توفيق الجليل" - عن أنه كان ينظر إليه بوصفه مرآة عاكسة للوقائع والأخلاق والقيم؛ إذ يقرر أن أشعار الجاهليين تدل [على وقائعهم التاريخية ، وأيام حروبهم ، وعلى ما كان عندهم من الأخلاق والعوائد دلالة كافية فى الوضوح] (٤٨). ولعل هذا ما جعل الطهطاوى يرى أن الشعراء الجاهليين كانوا يحققون الوظيفة الأخلاقية والتعليمية العامة إذ [كانوا ، دون غيرهم، هم المؤرخين والنسابين والناقلين للحوادث فى جزيرة العرب بتمامها، لاشتمال قصائدهم على الوقائع والمآثر والنوازل والمفاخر، وتحول الأحوال من مكان إلى مكان، وتنقل الحوادث من زمان إلى زمان] (٤٩).

وبقدر ما يكشف النص السابق عن أن الكامن لدى الطهطاوى واحد من المفاهيم العامة للأدب، فى التراث العربى الوسيط، بوصفه أخذا من كل علم بطرف، مما يجعل من الكتابة الأدبية عكسا لأخلاق الجماعة ومواضعاتها الاجتماعية والأخلاقية وقيمها السائدة - فإن اللافت أن ما طرحه الطهطاوى قد تكرر - بعده بعقود - لدى جرجى زيدان الذى نقل فهم الطهطاوى إلى القصص إذ عدها مرآة لآداب الجماعة وأخلاقها (٥٠).

وبقدر ما يبدو تقديم الطهطاوى لتناول الشعر فى مقابل التغييب النسبى لتناول النثر أو السرد بوصفه الطرف الثانى من أطراف ثنائية الشعر والنثر، فإنه يشير إلى انتماء الطهطاوى إلى اللحظة التاريخية التى كان الأديب والناقد الإحيائى يسعى فيها -حثيثًا- لصياغة موقف من الأشكال النثرية بتأثير اتصاله بالثقافة الأوروبية. وبالمثل يبدو تناول الطهطاوى لبعض الأشكال السردية العربية الوسيطة فى إطار تناوله للتاريخ دالاً على منحى إحيائى يتصل باستعادة تناول المؤرخ العربى القديم - فى مرحلة نضج الكتابة التاريخية - لأوجه التشابه والتلاقى بين بعض الأشكال السردية والكتابة التاريخية ، وأوجه الاختلاف والتمايز بينهما(٥١).

إن التاريخ عند الطهطاوى ينقسم إلى أثرى وبشرى [فالأول ما كان من طريق الشرع كالقصص الواردة فى الكتب السماوية والثانى ما وقف عليه الناس من الوقائع والحوادث الحاصلة فى الأعصر القديمة والحديثة فأرخوه] (٥٢).

وإذا كان التاريخ أحداثاً ووقائع تنتمى إلى الماضى دائمًا أو إلى الحاضر أحيانًا ، فإن الكتابة التاريخية عند الطهطاوى تتغيا تحقيق مهمة مزدوجة ، وتعود هذه الازدواجية إلى المتلقى الذى كان الطهطاوى يتوجه إليه ؛ إذ كان بحكم موقعه الثقافى والطبقى وطبيعة المرحلة يتوجه بكثير من كتاباته إلى الحاكم من ناحية ، وإلى عامة القراء - ولاسيما طلاب المدارس من أبناء النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على ودعمه إسماعيل - من ناحية أخرى ، فالطهطاوى يقرر

أن [تعلم التاريخ أليق بأبناء الأمراء والسلاطين، إذ هو معرفة أحوال الأمم والدول والملوك الماضين، فتقف الملوك به على أحوال من مضى من الأنبياء والأصفياء وغيرهم من أرباب الرياسات والسياسات ، ممن مَرَّ زمانهم وانقضى، فيعتبر القارئ لسيرتهم من تلك الأحوال ، ويتحصل على ملكة التجارب من تعرفه تقلبات الزمان والانتقال ، فيحترز عن تجرع غصص ما نقل عن المضار ، وينتهز التمتع بفرص ما قيل من المنافع والمبار ، فالتاريخ عمر ثانٍ للناظرين ، فمن تعلمه فكأنما زاد في عمره وأحسن عاقبة أمره] (٥٣).

إن كتابة التاريخ لدى الطهطاوى بمثابة [معاد معنوى لأنه يعيد الأعصار وقد سلفت، وينشر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت] (٥٤). وليست هذه سوى عملية استحضار للماضى، بأحداثه وشخصياته إلى وعى المتلقى الذى يتوجه إليه الكاتب المؤرخ، وتنهض تلك العملية على مجموعة من الأشكال السردية المختلفة التى يشير الطهطاوى إلى عدد منها عرفه التراث العربى القديم؛ كالخبر، والقصة، والسيرة، ثم المقامة التى جمعت بين التعليم والنقد الاجتماعى. بينما يبدو تناول الطهطاوى للأسطورة بوصفها – شكلاً سرديًا – نابعًا من اتصال الطهطاوى بالأدب الفرنسى وجذوره اليونانية. ومن اللافت أن كل الأشكال السردية العربية التى تناولها الطهطاوى قد كانت لها فاعليتها فى تبلور أشكال الرواية العربية فى مرحلة نشأتها بصفة خاصة.

يبدو مصطلح الخبر لدى الطهطاوى مقترنًا بالتاريخ من حيث كون التاريخ نقلاً أو تقديمًا للأخبار ، ومن هنا يربط الطهطاوى بين التاريخ والأخبار من ناحية ، والكتب السماوية - فى جانب من جوانبها السردية- من ناحية أخرى. إذ يؤكد أنه [لمكان العناية به (أى بالتاريخ) لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزلة ، فمنها ما أتانا بأخباره المجملة ومنها ما أتانا بأخباره المفصلة] (٥٥).

ولعل تلك الأهمية التى نالتها الأخبار التاريخية هى التى جعلت الطهطاوى يرفض الأخبار التى أولع بها [الإخباريون والقصاص] من [الأقاويل غير المرضية] و [ما يظهر بعرضه على ميزان العقل أنه من محض الخرافات] أو من [الأباطيل والخزعبلات](٥٦).

ويمثل موقف الطهطاوى استمرارا لمواقف فئات مختلفة فى المجتمع العربى الوسيط من نشاط القصاصين وحكاياتهم وأخبارهم (٥٧) ، كما أنه يمثل دافعا من الدوافع المباشرة التى دفعته إلى تلخيص السيرة النبوية وتقديمها فى شكل موجز.

ويتردد مصطلحا القصة والقصص فى مقدمة ترجمة الطهطاوى لرواية "مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك"، وفي كتابه "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية "، ومن اللافت أن الطهطاوى فى مقدمة ترجمته تلك يمدح النبى "ص" بأنه [خير من اختص بالقصص والنبأ ، وأنبأ عن قصة بلقيس وسبأ ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من أخبار العرب والعجم] (٥٨). ولقد

قرن الطهطاوى رواية "تليماك" ببعض الأشكال السردية العربية الوسيطة ، فتليماك - كما يراها الطهطاوى - موضوعة [على هيئة المقامات الحريرية فى صورة مقالات] (٥٩) ، كما أطلق الطهطاوى مصطلح "قصة" على بعض السير الشعبية العربية ، ثم فضل رواية تليماك عليها وعلى بعض الأشكال السردية العربية الأخرى كألف ليلة وليلة ؛ إذ يقرر [وأين منها (أى من تليماك) عند القوم ألف ليلة وليلة وألف يوم ويوم وهل تقاس بها قصة ذى يزن أو عنتر ، فكيف وموضوعهما أقطع أبتر ، فقد اشتهرت هذه المقالات بين الملل والأمم اشتهار نار على علم وترجمت بفصاحتها الركبان فى سائر الجهات لما اشتملت عليه من المعانى الحسنة مما هو نصايح للسلاطين والملوك وبها لسائر الناس تحسين السلوك تارة بالتصريح والتوضيح وأخرى بالرمز والتلويح] (٦٠).

ولما كان الطهطاوى بترجمته رواية "تليماك يقدم نصا يقوم على استلهام أصل أسطورى فقد توقف أمام مصطلح أسطورة؛ إذ قدم - فى ديباجة ترجمته - تعريفا بتليماك وعرف بأصله الأسطوري ، ونص على أنه يستقى معلوماته من [كتب الخرافات اليونانية] (٦١). وفى ضوء ذلك حاول أن يبرر ميلاد تليماك من مواقعة المشترى للكمينة زوجة انفتريون ، وسعى إلى تقريب هذا إلى ذهن المتلقى العربى بتقديمه عدة أخبار من التراث العربى تتحدث عن زواج الأنس بالجان أو الأنس بالملائكة (٦٢). وفى هذا ما يشير إلى أن الطهطاوى قد أدرك أن الأسطورة شكل سردى يقوم على مجموعة

من الأخبار التى تحوى أفعالاً خارقة أو مجـــاوزة للمـــألوف ، مـــن ناحية، كما أنها – من ناحية ثانية – تجسيد لعقيدة جماعـــة معينـــة ، ولكنها يمكن – من ناحية ثالثـــة – أن تُوَظَّــف لأهــداف تعليميـــة أو أخلاقية. وفى ضوء ذلك يتبدى وصفه للأدب اليونـــانى بأنـــه مبنـــي [علي إفراط العبارة] (٦٣) في الاعتماد علي الأساطير مؤكداً أنـــه [لما كان الفرنج يحذون في آدابهم حذو اليونان اتخـــذوا الخرافـــات اليونانية قدوة فى ذلك وألفوا فيها تآليف تسمى المثيولوجيـــا ووقـــائع تليماك مشحونة بهذه الأشياء] (٦٤)

ويتضمن تناول الطهطاوى للأسطورة ودورها فـــى الأدبيـــن اليونانى والفرنسى دلالات متعددة لعل أبرزها تأكيده على ضـــرورة التفريق بين الظاهر والباطن فيها (٦٥) وهو تمييزقد يسهم فى تـــأويل الرسالة التى ينطوى عليها " نهاية الإيجاز" على نحو ما سيتضح فـــى فقرات تالية.

ويمثل مصطلح المقامة واحدًا مـــن مصطلحـــات الأشـــكال السردية التى أشار إليها الطهطاوى، وتشير بعض سياقات اســـتخدامه لديه إلى إطلاقه إياه على القصص الفرنســـية(٦٦). وأمـــا مصطلـــح سيرة فمن المؤكد أن الطهطاوى قد عرفه – منذ البداية – إبان دراسته بالأزهر قبل سفره إلى باريس ، ثم أتيح له فى باريس أن يقرأ ســـيرًا أوروبية متنوعة كسير فلاسفة اليونان وسيرة نابليون ، وقد قرأها فـــى إطار دراسته "النظامية" للتاريخ، واللافت أنه وصف مـــادة بعضـــها مستخدمًا بعض المصطلحات المستخدمة فى السرد العربـــى الوســـيط كالقصص والحكايات والنوادر (٦٧).

كان الطهطاوى على دراية واسعة بعدد من الأشكال السـودية العربية القديمة والوسيطة، كما أتيح له التعـرف علـى بعـض مـن الأشكال السردية الأوروبية القديمة والوسيطة والحديثة ، ولما كـانت معرفته بهذه الأشكال قد تمت فى إطار تشكل معرفته بالتـاريخ فقـد كان ذلك دافعا له لأن يرى دور هذه الأشكال فى تحقيق مهام تعليميـة وتهذيبية يحققها التاريخ . كما قادته تلك المعرفة إلى الوعى بـالأدوار التى يمكن أن يؤديها السرد فى توصيل معارف مختلفة، ولهذا اعتمـد عليه فى عدد من مؤلفاته سواء التاريخية مثل "أنوار توفيق الجليل" أو التعليمية التوجيهية العامة مثل "المرشد الأمين" و " مناهج الألبـاب " . وقد قاده ذلك الوعى إلى إعادة كتابة السيرة النبويـة بوصفـها نصـا سرديا ، ولعله كان يدرك - على نحو ضمنى - أن مثل هذه الكتابـة هى صورة من صور التجادل مع تقاليد راسخة تثبتـت فـى كتابـة السيرة النبوية لدى السابقين عليه ، وإذا كانت كتابته تلك قد اسـتندت إلى توجهاته الإصلاحية التى حكمت مجمل مؤلفاته، فإنها قد انبنـت - من ناحية - على رؤيته التاريخية ، بينما قامت - من حيث هى إعادة تشكيل لتقاليد شكل سردى راسخ فى الثقافة العربية الوسيطة - علـى أداة الذوق الذي جعله الطهطاوي ذوقا متجددا يتغير [إذا تغيرت البيئـة والأزمان] كما جعله[يرتقى مع تقدم العمران] (٦٨) من ناحية ثانيـة، وفى هذا ما يؤسس للكيفيات والطرائق التى اعتمدها الطهطاوى فـى إعادة تشكيل كتابة السيرة النبوية ليواجه متطلبات جديدة طرحها واقـع جديد.

(٥)

تتصل كتابة الطهطاوى السيرة النبوية بتقاليد كتابـــة الســـيرة النبوية فى التراث العربى السابق عليه ، كما ترتبط بطرائق الكتابـــة والتشكيل فى الرواية التاريخية والرواية التعليمية المعـــاصرتين لـــه. وتتكشف تلك الصلات – أكثر ما تتكشف – فى التشكيل السردى الذى صاغ فيه الطهطاوى كتابته، ويقوم على ذلك التشـــكيل علـــى عـــدة عناصر هى : تنظيم الوحدات السردية الكبرى ، والاعتمـــاد علـــى تقنية الإيجاز والحذف ، والركون إلى تقنية الاستطراد ، ثم توظيـــف الشعر داخل الكتابة السردية.

وبقدر ما تمارس تقنيتا الإيجاز والحذف والاستطراد فاعليات متعددة فى إطار الوحدات السردية (الكبرى والوسطى والصغـــرى) فى سيرة الطهطاوى، فإن أدوارهما فى تشكيل الوحـــدات الوســـطى تحمل دلالات واضحة على المنحى التجديدى فى كتابـــة الطـــهطاوى للسيرة النبوية ، ومن هنا ضرورة التوقف أمام نمـــوذج مـــن نمـــاذج تشكل الوحدات الوسطى.

وبقدر ما تمثل العناصر السابقة متن الســـيرة النبويـــة عنـــد الطهطاوى فإنها تكشف عن كون الطهطاوى نموذجا لذلـــك الـــراوى المفارق لمرويه.

٥/١

تنتظم السيرة النبوية لدى الطهطاوى فى ست وحدات سـودية كبرى ، هى على تتابعها: المولد ، والمبعث ، والهجرة ، وظواهر مـا بعد الهجرة، ثم وفاة النبى (ص) وذكـــر بعــض أخلاقــه وصفاتــه ومعجزاته وأزواجه وأعمامه وعماتـــه وأخوالــه ومواليــه وخدمــه وحشمه ، ثم الوظائف والعمالات البلدية.

ومن البين أن الوحدات الأربع الأولى - بالإضافة إلى نقطــة الوفاة فى بداية الوحدة الخامسة - قد رتبت على أساس زمنـــى قـــائم على التوالى التاريخى. وتشكل العلاقة بين هذه الوحدات نمطـــا مـــن أنماط البنية المركبة التى تقوم على منطق النظم أو التنضيد - عنـــــد شلوفسكى- حيث تتتابع مجموعة من القصص القصــــيرة يغلــب أن تكون وحدات سردية [مستقلة كل واحدة من الأخرى ، لكــن تصــل فيما بينها شخصية مشتركة] (٦٩)، ويؤدى تعاقبها فى نص واحد إلــى إنشاء [وحدة جديدة لها بنية مخصوصة ولعل أظهر ما تتجلى فيه هــذه البنية القصص التاريخية أو قصص الســيرة] (٧٠) . وتشــكل تلــك الوحدات الهيكل الأساسى لمتن السيرة النبوية ، ومن اللافـــت تــأمل العلاقات التى ينشؤها نص الطهطاوى مع الكتابات الســـابقة عليــه ؛ فهو من ناحية يتابع كتاب نمط السيرة المختصرة -كابن عبـــد الــبر وابن حزم - الذين قصروا متن السيرة على متابعة حياة النبـــى (ص) من ميلاده إلى وفاته . بينما يبدو- من ناحية ثانية - معدلا فى بعــض التقاليد السائدة لدى كتاب النمط المطول والنمط المشروح؛ فإذا كـــانت

سيرة ابن هشام تنتهى بوفاة النبى (ص) فإنها قد توقفت عند القصـــائد التى قيلت فى رثائه ، بينما وضع ابن سيد الناس - قبل تقديمه وحـــدة الوفاة ــ أخبارا مختلفة عن الجوانب الاجتماعيـــة والأســـرية للنبـــى كأولاده وأعمامه وأزواجه وأسرته ومواليه وكتابه وحراســـه وجمـــل من صفاته وغيرها(٧١) ، وهذه هى نفسها الوحدات الصغرى التـــى ساقها الطهطاوى بعد ذكره الوفاة. ومن اللافت أن المنطـــق الكـــامن خلف ذلك التنظيم الذى قدمه الطهطاوى يبدو متصلا - بقوة - ببعض السير الغيرية التراثية، كما يرتبط أيضا بنظام الترجمة فـــى بعـــض كتب التراجم العربية ككتاب الأغانى؛ فسيرة عمر بن الخطاب لابـــن الجوزى (ت ٥٩٧) تقوم على سرده وقائع حياته من مولده إلى توليـــه الخلافة، عبر تتابع زمنى محكم ، ثم تلجأ إلى الســـرد القـــائم علـــى الموازاة بين عرض سلوكه وتصرفاته من ناحية، وصفاتـــه وســـماته من ناحية أخرى ، مما يخرق الترتيب الزمنى لسرد الوقـــائع الـــذى تجلى فى الوحدات الأولى. ولا تمثل حادثة مقتل عمر نهاية السـيرة إذ تتلوها مجموعة من الوحدات التى يقدم فيـــها المؤلـــف عـــددا مـــن الوحدات أو الموضوعات المتصلة بعمر كبعـــض صفاتـــه ، وبكـــاء الناس عليه، والمنامات التى رآها والتى رؤى فيها ، وذكر ثناء النـــاس عليه(٧٢) .

ورغم أن نظام الترجمة فى كتاب الأغانى يقوم على الابتـداء بنسب المترجم له والانتهاء بوفاته ، فإن بعض التراجم كانت تنتـــهى بأخبار تتصل بالمترجم له بعد وفاته(٧٣).

وإذا كانت الوحدة السادسة التي قدم فيها الطهطاوى الوظائف والعمالات البلدية قد مثلت لدى دارسى كتاباته التاريخية دالا من دوال تجديده(٧٤) فإنها - من حيث علاقتها بوحدات السيرة - تبدو متصلة بها فى اعتمادها على تقديم كم كبير من المرويات السردية المختلفة ، بينما تبدو - فى الآن نفسه - منفصلة عن متن السيرة؛ إذ تبدو عرضا لجوانب اجتماعية وسياسية تنظيمية يستعين ببعض العناصر السردية كالأخبار والحكايات ، كما تبدو إيجازا لكتاب الخزاعى (ت ٧٨٩) "تحرير الدلالات السمعية"(٧٥).

وإذا كان الطهطاوى قد صرح بأن إضافته تلك الوحدة إلى السيرة تمثل نمطا من أنماط التجديد في كتابتها (٧٦) فإن هذه الإضافة دال يشير إلى أن كتابة الطهطاوى السيرة لم تقف فقط عند حد التغيير فى تقاليد كتابة السيرة النبوية ، بل جمعت إليها لونا من النصوص المقالية - الاجتماعية والسياسية - التى قد تنهض - بدورها - دالا على تغير ما فى توجهات الطهطاوى الفكرية في أخريات حياته.

وتختلف أطوال الوحدات السردية الكبرى في سيرة الطهطاوى نتيجة عاملين، يتمثل أولهما فى حجم العناصر السردية وغير السردية التى يعتمد عليها الطهطاوى ، وتبدو الوحدة الرابعة الخاصة بظواهرما بعد الهجرة أطول هذه الوحدات ، ولذا قسمها الطهطاوى إلى وحدات أصغر حيث جعل من أحداث كل عام وما فيه من غزوات وحدة واحدة.

بينما يتمثل ثانيهما فى بـــروز تقنيتـــى الإيجـــاز والحـــذف والاستطراد حيث تبدو فاعلية كل منهما سببًا من أسباب تحديد حجـــم الوحدة السردية ، من ناحية ، ودالاً - من ناحية أخرى - على أهميـــة هذه الوحدة أو تلك فى متن الطهطاوى.

٥/٢

مارست تقنية الحذف والإيجاز فاعليات متعددة فـــى تشـــكيل الطهطاوى لمادة سيرته ، ويعد إدخال كلمة الإيجـــاز فـــى العنـــوان " نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز" دالاً أوليًا على تلك الفاعليـــات . وتبدو فاعلية هذه التقنية بعنصريها - الحذف والإيجاز - جلية فـــى حذف الطهطاوى للوحدة السردية الكبرى الأولى فى سيرة ابن هشـــام وهى وحدة المبتدأ، واستعاضته عنها بتقديم بعض الجوانب الأساســـية فى حياة العرب في الجاهلية وانتهائه إلى الحديث عـــن الإرهاصـــات الداخلية والخارجية بمولد النبى (ص) ، وذلك فى الجـــزء الأول مـــن "أنوار توفيق الجليل" (٧٧) ، واللافت هنا أن الطهطاوى قد قدم نبـــوءة سيف بن ذى يزن بمولد النبى (ص)، وذلك فى لقائه بعبد المطلـــب ، وهذا ما يتناقص مع ما يبدو من ميل الطهطاوى إلى تجاهل كثير مـــن الرؤى والنبوآت التى اعتمدت عليها كثـــير مـــن نصـــوص الســـير السابقة ، كما يبدو فى سرد غزوة بدر على سبيل المثال.

وبقدر ما كان الحذف دالاً على مســـعى الطـــهطاوى إلـــى استبعاد عناصر متعددة من متن السيرة السابقة عليه، فإن الطـــهطاوى كان يعمد إلى الاتكاء على عنصر الإيجاز حيث كان يقـــدم بإيجـــاز

شديد الدلالة الأساسية التى تشير إليها تلك الوحدة المحذوفـــة ؛ فـــإذا كانت سيرة ابن هشام قد أفاضت فى تقديم أخبار العرب قبـــل ميـــلاد الرسول ولذلك لتمجد شخصية الرسول (ص) بوصفه المثل الأعلـــى للبطولة العربية(٧٨) فإن الطهطاوى قد حذف تلـــك الوحـــدة، وقـــدم فى ـــ إطار تناوله للإرهاصات بمولد النبى "ص" - تفسيرا سياســـيا يثبت حاجة الجماعة العربية إلى رسالته.

وإذا كان الطهطاوى قد بدأ سيرته بمولد النبى "ص" فإنه قـــدم نسبه بإيجاز مقارنة بسيرة ابن هشام (٧٩) ، ومتفقا فى هذا مع كتـــاب النمط المختصر للسيرة كابن عبد البر وابن حزم.

وتبدو تقنية الحذف والإيجاز بارزة فى حـــذف الطـــهطاوى لمعظم أسانيد المرويات المختلفة مـــن أخبـــار وأحـــاديث وحكايـــات واكتفائه دائما بالراوى الأول أو الأصلى لكل منها. ويلتقى الطـــهطاوى فى ذلك مع كتاب النمط المختصر من السيرة ، كما يلتقى مـــع كتـــب المختصرات فى التراث السردى العربى الوسيط(٨٠) . وتبرز تقنيـــة الحذف فى استبعاد الطهطاوى لكثير من الأشعار - مقطوعات كـــانت أم قصائد - التى قدمها ابن هشام وغيره من كتاب النمط المطول مـــن السيرة كابن سيد الناس ، دون أن يمنعه هذا مـــن توظيـــف الشـــعر وظائف مختلفة فى سيرته.

ويبدو أن تلك التقنية كانت تمـــارس فاعليتـــها فـــى كتابـــة الطهطاوى اعتمادا على عنصر الحذف فى عدد من المواضـــع التـــى كانت كتابات السيرة السابقة تستخدم فيها عناصر تشويق تدفع المتلقـــى

إلى متابعة السرد ؛ ففى سرده حفر عبد المطلب بئر زمزم حذف كــل المرويات التى قدمتها السير السابقة ، والتى جعلت من ذلـــك الفعــل استجابة لرؤيا رآها عبد المطلب(٨١). كما تجلى النمــط نفســه فــى حذفه لعدد من النبوآت المرتبطة بوقائع غزوة بدر (وهذا ما ســيتضح تفصيلا فى فقرة تالية).

وإذا كان اعتماد الطهطاوى على تقنيــة الحــذف والإيجــاز يقرنه بطرائق كتابة الرواية التاريخية فى مرحلته التاريخية - الأدبيــة فإن حضور تلك التقنية فى كتابة الطهطاوى، إنما كان يقترن بتغييبــه تقنية الاستطراد ، بينما يمثل حضور تقنيـــة الاســتطراد دالا علــى فعالياتها المختلفة عن فاعلية تقنية الحذف والإيجاز.

٥/٣

الاستطراد تقنية سردية محورية اعتمد عليها الطهطاوى فــى تشكيله لمتن السيرة النبويـــة ، وتقــوم تلــك التقنيــة علــى تطــرق الطهطاوى- الذى يمثل نمط الراوى المفارق لمرويه - إلــى بعــض الجوانب الفرعية التى تتصل بالوقائع أو الشخصيات أو المواقف التــى يدور حولها السرد. ويقوم الاستطراد على تصور الراوى وجود صلة بين ما يحكيه وما يستطرد إليه، دون أن يتطلــب الســياق الســردى الاتكاء على هذه الصلة فى الموضع الذى يبرز فيه الاستطراد. وتبــدو الصلة واضحة بين هذه التقنية لدى الطهطاوى ومفهومها الذى اســتقر لدى كثير من النقاد والبلاغيين العرب؛ إذ تحدد الاستطراد لديهم بأنــه

[أن يأخذ المتكلم فى معنى فبينا يمر فيه يأخذ فى معنى آخـــر وقــد جعل الأول سببا فيه] (٨٢). مما يشير إلـــى أن الصلـــة الفكريـــة أو الشعورية بين المعنيين - والتى قد ترتد إلى التقاليد الجمالية والثقافيـــة أو إلى إرادة المتكلم - هى دافع المتكلم إلى الاستطراد. ولعل أهميـــة المعنى الأول الذى يحدث عنده أو منه الاستطراد هى التـــى دفعـت بعض البلاغيين العرب القدامى إلى اشتراط أن يعود إليه المتكلم مــرة أخرى بعد انتهاء استطراده(٨٣).

وبقدر ما يمثل الاستطراد فى متن الطهطاوى صـــورة مــن صور إيقاف السرد مما ينتج وقفات سردية كثيرة ، فإنـــه دال يشــير إلى الغايات الدفاعية والتعليمية التى أراد الطهطاوى تحقيقها لدى مــن توجه إليهم بمتن سيرته.

وهناك نمطان من تقنية الاســـتطراد بـــارزان فـــى ســيرة الطهطاوى ، ورغم أن ما يجمعهما هو الهدف التعليمى "العام"، فـــإن ثانيهما يبدو فيه ذلك الهدف أكثر مباشرة ، ولهذا يمكن وصفـــه بأنــه استطراد تعليمى مباشر. بينما يمكن وصف أولـــهما بأنـــه اســتطراد سردى.

ويتمثل نمط الاستطراد السردى فـــى جنـــوح الطـــهطاوى/ الراوى إلى تقديم عدة أخبار أو وقائع تصور بعض سمات الشـــخصية التى يدور حولها السرد أو تقديم جزء من "تاريخ" الشـــخصية التـــى تسهم فى الحدث. وتكشف معاينة السياقات التى برز فيها هذا النمـــط أن المنطق الكامن وراءه يتمثل - دائما - فـــى علاقـــات النســـب أو

الاتصال التى تربط بين الشخصيات التى يسرد الراوى عنها. وثمة نموذج دال على بروز هذه التقنية يتمثل فى سرد الطهطاوى لواقعة زواج النبى (ص) من السيدة خديجة(٨٤)؛ حيث يقوم نمط هذه التقنية على قطع الخيط الأساسى لزمن الوقائع ، والانتقال منه إلى زمن آخر أسبق تاريخيا ، يضم وقائع أخرى ترتبط بالشخصية التى يدور حولها السرد؛ فإذا كان زمن واقعة الزواج ينتمى إلى ما قبل المبعث فإن بعض الوقائع التى يقدمها الطهطاوى تنتمى إلى الزمن نفسه ، وبذلك يتحقق قدر من الاتساق فى المسار الزمنى للوقائع المقدمة ، بينما تنتمى وقائع أخرى إلى مرحلة ما بعد المبعث وبذلك تمثل - بمعنى أو بآخر - استكمالا لبعض الجوانب التى تكمل صورة الشخصية التى يدور حولها السرد (أى شخصية السيدة خديجة) ، بينما يقوم السرد على نوع من الانتقال "الحر" بين المراحل الزمنية للوقائع المقدمة . ... وتبرز فاعلية هذا النمط الاستطرادى فى سرد تلك الواقعة على النحو التالى:

يأخذ الطهطاوى فى سرد حادثة زواج النبى(ص) بالسيدة خديجة (٦٥-٦٦) ، ثم فى تقديم بعض الأخبار عن أولاده منها ؛ فيشير بإيجاز إلى أبى القاسم (٦٦-٦٧) ، ثم يتوقف عند زينب وزواجها بالعاص(٦٧-٦٩) ، حيث يبدو ما يقدم عن العاص أكثر بكثير مما يقدم عن زينب ، ثم يتحدث عن رقية (٦٩) ، ثم عن أم كلثوم(٦٩) ، ثم عن فاطمة (٧٠) . وحينئذ تبرز تقنية السرد التعليمى الخالص التى يستخدمها الطهطاوى فى تناول مسألة فضائل أهل

البيت معتمدًا على حشد تفسير بعض الآيات القرآنيـــة ، والاستشـــهاد ببعض الأحاديث النبوية ، مضيفًا إليهما شواهد شعرية مختلفـة (ص - ص ٧٠-٧٤) . واللافت أن الاستطرادين السردى والتعليمى يتمـاثلان فى الطول ... ثم يعود الطهطاوى إلى سرد موجز عن بنات فاطمـــة (زينب وأم كلثوم ورقية) (ص٧٥) - وينتقل منه إلى سرد وفاة السيدة خديجة وتقديم جوانـــب مـــن حياتـــها قبـل زواجـــها بـــالنبى (ص) (٧٨-٧٩) ، ثم يتوقف مستطردًا أمام مقولة بعض الصوفية عـــن أن (أربعة من النساء أنجبن أربعًا من الأنبياء عليهم السلام فوجدن بذلـك المغفرة) (ص٨٠) .

ويتكرر هذا النمط الاستطرادى فى تقديم الطهطاوى لعدد مـن الشخصيات منها: عبد المطلب ، وفاطمة الزهراء ، ثم حليمة السـعدية التى يبدو أن تقنية الاستطراد السردى تتحول - عند تقديمـــها - إلـــى استطراد عكسى ؛ إذ يبدأ الطهطاوى بتقديم بعـــض جوانـــب حياتـــها وسلوكها بعد الإسلام ، ويتبع ذلك بتلخيص القصـــة المتواتـــرة عـــن إرضاعها النبى (ص)(٨٥).

إن ذلك النمط السردى يقوم - فى الغالب- على تغييب زمـــن الوقائع المسردة عن طريق تحرير الراوى مـــن الالـــتزام بتنسـيقها وضبطها فى مسار زمنى قائم على تتابعها فى زمن الحدوث. ومـــن اللافت أن ذلك التغييب الزمنى يبدو ظاهرة بارزة فى كثير من كتـــب التراجم والطبقات فى التراث السردى العربى (٨٦) ، وكذلك فى عدد من السير الغيرية التراثية ؛كسيرة عمر بن الخطاب لابـــن الجـــوزي

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ت٢١٤هـ) ؛ فبعد أن ضبط ابن عبد الحكم وقائع حياة عمر من بدايتها إلى توليه الخلافة، أخذ يقدم العناصر السردية - كالأخبار والحكايات والقصص - وغير السردية - كالمواعظ والرسائل - دون حرص على ترتيبها أو العمل على إبراز الترابط الزمنى فيها (٨٧).

ولعل هذا ما يشير إلى قوة تأثير التراث السردى العربى فى تقنيات كتابة الطهطاوى السيرة النبوية.

وتمثل تقنية الاستطراد التعليمى المباشر تقنية متواترة بكثرة وفى مواضع مختلفة من نص الطهطاوى (٨٨) ، وبقدر ما يمثل بروزها لديه تجديدا فى نمط كتابة السيرة الموجزة أو المختصرة؛ إذ لم يلجأ إليه ابن عبد البر أو ابن حزم ، فإن استخدامها يشير إلى متابعة الطهطاوى ما استقر فى متون شرح السيرة النبوية من العروج إلى قضايا ومسائل دينية وأخلاقية وكلامية وتاريخية ولغوية وأدبية مختلفة، يرى الشارح أنها ذات صلة بوقائع السيرة النبوية.

ويختلف نمط هذه التقنية عن نمط تقنية الاستطراد السردى فى كون الاستطراد السردى غالبا ما كان يقوم على صياغة الطهطاوى الوقائع بلغته هو (وإن استعان أيضا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية) ، بينما غلب على الاستطراد التعليمى المباشر أن يكون نقلا أو تلخيصا لمرويات وكتابات من مصادر سابقة على الطهطاوى ، كان الطهطاوى يتصور أن ما قدمته مفيد للمتلقى الذى يتوجه إليه.

وتتسم بعض نماذج هذه الاستطردات بالطول حتى أن بعضها قد يستغرق فصلاً كاملاً أو ما يقل عنه بقليل ، على نحو ما يبدو فى الاستطراد الخاص بمسألة الاحتفال بالمولد النبوى الذى يتمثل فى مجموعة من النصوص المنقولة عن مصادر فقهية وتشريعية وغيرها(٨٩). ومن اللافت أن ذلك النموذج يمثل قطعًا ممتدًا ومطولاً فى مسار الوقائع التى يقدمها الراوى - كما يغيب فترة من حياة النبى (ص) ؛ إذ انتهى الطهطاوى فى الفقرة السابقة عليه إلى قص وقائع حياة النبى حتى بلوغه السادسة ، بينما استأنف السرد - فى نهاية هذا الاستطراد - وقد صار عمر النبى (ص) ثلاثة عشر عامًا . وبذلك أدى الاستطراد إلى قطع يتمثل فى إسقاط أخبار ووقائع عدة سنوات من طفولة النبى (ص) .

وقد تكررت الظاهرة نفسها فى سرد الطهطاوى لوقائع الهجرة إلى الحبشة(٩٠).

وتشكل الاستطرادات المختلفة الناتجة عن حادثة الإسراء والمعراج نموذجًا آخر دالاً على مهام تقنية الاستطراد التعليمى المباشر لدى الطهطاوى ؛ فبينما لا يحتل سرد الطهطاوى لوقائع الإسراء والمعراج سوى مساحة محدودة تزيد قليلا عن الصفحة ، ملتقيًا فى هذا مع ابن عبد البر وابن حزم (٩١) - فإنه يجنح إلى استطرادات مختلفة معظمها يدور حول مسائل كلامية ناتجة عن الإسراء والمعراج (٩٢) وهى تمضى على النحو التالى:

مسألة شق الصدر (١٢٥) ، ماء زمـزم وأفضليتـه (١٢٦-١٢٧) ، ضرورة الامتثال للأفعال التى أمرنا الله بها (١٢٩) ، كيفيـة الإسراء : هل كان بالروح والجسـد أم بـالروح فقـط (١٣٠-١٣٢) رؤية النبى (ص) لله (١٣٢-١٤٠) ، ثم مسألة رؤية المؤمنين النبـى فى الدنيا وفى المنام (١٤١-١٤٤) ، ويتناول أخيرا مسألة المفاضلـة بين الليل والنـهار (١٤٤-١٤٨) ، وليـس غريبـا أن تكـون تلـك المفاضلة قد نتجت عن كون الإسراء ليلا.

ومن اللافت أن هذا النمط من الاستطراد قـد تحـول لـدى الطهطاوى إلى وسيلة تجعل من بنية بعض الوحدات السردية الكـبرى بنية قائمة على سرد وقائع هـذه الوحـدة ، مـن ناحيـة ، وتقديـم استطرادات تعليمية تمثل قطعا متكررا لمسار تلك الوقائع، من ناحيـة أخرى . ويشكل سرد الطهطاوى لوحدة الهجرة نموذجا دالا على ذلـك حيث يراوح الطهطاوى بين قص الوقـائع ، وتقديـم اسـتطرادات تعليمية مباشرة يتصف معظمها بالطول(٩٣).

ويبدو الاستطراد بنمطيه تقنية راسخة فـى بعـض كتابـات الطهطاوى غير الأدبية(٩٤)، واللافت أن الطهطاوى كان يـدرك أن الاستطراد خصيصة متواترة فى كتاباته التاريخية والأدبيـة ، وكـان يبرر اعتماده عليه بالغاية التعليمية التى تهدف إلى تبصير المتلقـى ؛ إذ يصف كتابه " أنوار توفيق الجليل" بأنه [اشتمل على ذكر الحنفـاء والخلفاء والعلماء والسلاطين والأساطين والأمراء والوزراء ، وجميـع ما اقتضاه فن الاستطراد، وأوجبته المناسبة وحكم به الأسلوب الحكيـم

لبيان المرام والمراد] (٩٥). كما نص الطهطاوى - فى سرده لوقائع غزوة بدر - على بعض استطراداته.

إن بروز الاستطراد تقنية أساسية فى كتابة الطهطاوى السيرة النبوية دال يقرن كتابته بتقاليد كتابة الرواية التعليمية والتاريخية (١٨٧٠-١٩١٤) حيث اعتمد كتابها دائما على تلك التقنية لتحقيق غايات تعليمية وإصلاحية تشبه غايات الطهطاوى.

٥/٤

أصلت كتابات السيرة النبوية السابقة على الطهطاوى ثلاثة تقاليد تتصل بتوظيف الشعر فى إطار سرد السيرة ، يتمثل أولاها فى الإكثار من تقديم الأشعار - مقطوعات كانت أم قصائد - فى إطار السرد ، وهذا ما يتجلى لدى كتاب النمط المطول كابن هشام والواقدى ؛ إذ اعتادوا تقديم كثير من المقطوعات الشعرية التى قالتها بعض الشخصيات المسهمة فى الوقائع المسرودة ، مما جعل منها وسيلة لاستكمال بعض جوانب هذه الوقائع أو تأكيد أو تدعيم جانب أو أكثر من جوانبها. بينما انفرد ابن هشام بتقديم عدد كبير من القصائد والمقطوعات التى قيلت فى غزوات النبى (ص) بصفة خاصة ، وكان يوردها بعد انتهائه من سرد الوقائع ، وقد تابعه ابن سيد الناس فى ذلك(٩٦).

ويتمثل ثانى هذه التقاليد فى تحجيم دور الشعر فى سياقات سرد السيرة النبوية ، ويبرز هذا التقليد لدى ابن عبد البر حيث اكتفى بإيراد اثنى عشر شاهدا شعريا يتراوح الواحد منها من بيت إلى سبعة

أبيات ، وقد وردت هذه الشواهد فى سياق سرده للوقائع ، ومعظمها منسوبة إلى شخصيات مشاركة فى الوقائع مما يجعلها جزءا من تلك الوقائع(٩٧). بينما يتمثل التقليد الثالث فى الاستبعاد التام للشعر من دائرة سرد السيرة النبوية ، ويبرز هذا التقليد لدى ابن حزم ؛ إذ تخلو "جوامع السيرة" من الأشعار تماما وتقتصر على تقديم الأخبار والوقائع.

ولقد كانت تلك التقاليد ماثلة أمام الطهطاوى وقد اختار الطهطاوى متابعة التقليد السائد الذى يقرن السرد بالشعر ، فاعتمد فى صياغته السيرة على نماذج كثيرة من الأشعار ، وندر أن يسرد وقائع دون أن يورد فيها أشعارا(٩٨) ، ومع هذا فقد أبقى الطهطاوى قليلا من الأشعار التى وردت فى سيرة ابن هشام ، وأضاف إليها نماذج كثيرة نقلها عن التالين لابن هشام ، وغلب على الأشعار عنده أن تكون مقطوعات أو قصائد قصيرة ، بينما ندرت لديه القصائد الطويلة (٩٩) كما ندر تقديمه لأشعار من تأليفه هو(١٠٠).

وقد تنوعت وظائف الشعر فى سرد الطهطاوى تبعا لاختلافات السياقات التى وردت فيها نماذجه ؛ ففى بعض السياقات يبدو الشعر جزءا متمما للواقعة التى يرويها الطهطاوى أو ينقلها عن السابقين، كما يبدو فى الأبيات المنسوبة إلى أبى طالب عند موته ، أو المقطوعة التى قيلت فى غزوة بدر(١٠١).

بينما يبدو الشعر – فى سياقات أخرى – وسيلة لإثبات الفكرة التى يقدمها – أو بالأحرى – يناقشها الطهطاوى ؛ فحين يشير إلى

الخلاف حول إيمان عبد المطلب ، ويرجح القول بأنه من أهل الفترة ينقل مقطوعة شعرية من خمسة أبيات تعبر عن الرأى الذى يتبناه هو(١٠٢).

ويجعل من المقطوعات الشعرية أحيانا وسيلة لشرح الفكرة ؛ إذ يقدم فكرة ما فى السرد أو الوصف أولا ، ثم يجعل من الشعر سبيلا لصياغة الفكرة وشرحها، على نحو ما يبرز فى الشاهد التالى [هل يجوز أن يكنى غيره صلى الله عليه وسلم بأبى القاسم أو لا ؟ خلاف ، وإليه أشار بعضهم بقوله:

فى كنية بقاسم خلف وقع	فالشافعى مطلقا لها منع
ومالك جوز ، والنهى حمل	على الحياة ، والنواوى جعل
هذا هو الأقرب ، أما الرافعى	يمنع من سمى محمدا ، فعى](١٠٣)

وتشير النماذج السابقة إلى أن بعض الأشعار التى قدمها الطهطاوى كانت تمثل إضافات إلى المتن السردى الذى صاغه ، أو وسيلة لتقديم صياغة شعرية لبعض الأفكار التى ناقشها . غير أن توظيف الشعر في سياقات أخرى لدى الطهطاوى - يكشف عن تلك العلاقة الوثيقة التى ربطته بتقنية الاستطراد التى هيمنت على كثير من المواضع السردية. إذ قد يجعل من الشعر - فى عدد من المواضع - وسيلة لتقديم صياغة شعرية للفكرة التى قدمها فى السرد(١٠٤) ، وإذا كانت الفكرة - بهذه الطريقة - تصاغ سردا وشعرا فإن النماذج الشعرية تنتمى إلى دائرة الشعر التعليمى الذى يقدم نظما لأفكار أو وقائع ليسهل حفظها وتردادها.

ويبدو الشعر - فى مواضع أخرى - وسيلة لنظم الوقائع التـــى قدمها الطهطاوى سردًا ؛ فبعد أن سرد وقائع حياة النبى منـــذ مولـــده إلى كفالة عبد المطلب له ، ثم وفاة عبد المطلب ، قدم خمســـة عشـــر بيتًا للحافظ العراقى نظم فيها هذه الوقائع ذاتها(١٠٥).

وقد يجعل من الشعر وسيلة لتحقيق الاستطراد ؛ فحين يشـــير إلى قصيدة أبى طالب فى مدح النبى (ص) يذكر أنـــها تزيـــد علـــى ثمانين بيتا ، ويشير إلى أن ابن إسحاق ذكرها، ثم ينقـــل منـــها بيتـــا واحدًا فقط ، هو :

وشـــق له اســـمه ليجـــله فذو العرش محمود وهذا محمد

ثم يقول [وحسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت] ويـــأتى بمقطوعة له من ستة أبيات فيها البيت المضمن(١٠٦).

واللافت أن الشعر - لدى الطهطاوى - قـــد يكـــون وســـيلة لتحقيق استطراد داخل الاستطراد؛ ففى بعـــض أنمـــاط الاســـتطراد التعليمى المباشر يستطرد الطهطاوى من الســـرد أو الوصـــف إلـــى الشعر ، ففى نهاية استطراده إلى مسألة المولد النبوى والاحتفال بـــه يستطرد مرة أخرى إلى ذكـــر همزيـــة عبـــد العزيـــز الزمزمـــى ، ومطلعها:

أثغور منها الصباح أضاءَ أم بروق على النقا تتراءَ

ويستغرق هـــذا الاســـتطراد الشـــعرى ســـبع صفحـــات إلا قليلا(١٠٧). كما يتكرر الاستطراد الشعرى داخل الاستطراد النـــثرى فى مسألة المفاضلة بين الليل والنهار(١٠٨).

إن توظيف الشعر داخل متـــن ســيرة الطــهطاوى ســواء لاستكمال بعض الوقائع ، أو لإعادة صياغتها ، أو لتحقيق صورة مــن صور الاستطراد يقرب كتابته من تقاليد استخدام الشعر لـــدى كتـــاب الرواية التاريخية والتعليميـــة (١٨٧٠-١٩١٤) الذيــن أكــثروا مــن استخدام الشعر لتحقيق وظائف تتلاقى مع وظائفه فــى متــن ســيرة الطهطاوى(١٠٩).

٥/٥

تمثل صياغة الغزوات الكبرى - كبدر وأحــد و الخنــدق - دوال بارزة على الكيفيات التى اعتمدها الطهطاوى فى تشكيل الغــزوة بوصفها وحدة سردية وسطى ، وتتبدى فيها الفعاليات المختلفة لتقنيتــى الإيجاز والحذف والاستطراد وتوظيف الشعر فى إطار السرد، كمــــا تبرز فيها الطريقة التى يعتمدها الكاتب الراوى لتنظيم الوقـــائع التــى يقدمها، وهى طريقة تتضمن دلالات متعددة وستكشف دراسة الوحـــدة السردية الوسطى عن هذه الجوانب جميعًا، وذلك ما ســـيتحقق عــبر المقارنة بين نص الطهطاوى ونصوص السابقين عليـــه مــن كتـــاب السيرة النبوية .

وردت وقائع غزوة بدر عند كتاب الســيرة المطولــة كــابن هشام ، وكتاب المغازى كالواقدى ، وكتاب النمط المشروح كابن سـيد الناس ، كما وردت لدى كتاب النمط المختصر كابن عبد البر وابـــن حزم(١١٠) ، بينما وضعها الطهطاوي في إطار ظواهر السنة الثالثــة للهجرة (١١١) ورغم ما يشير إليه ذلك من جعلــها تابعــة للإطـــار

الزمنى المتمثل فى إفراد الحوادث وضمها إلى سنوات حدوثها ، فـإن ذلك لا ينفى أهمية هذه الوحدة فى إطار ذلك التقسيم الزمنى.

إن كل كاتب من أولئك الكتاب يمكن وصفه بأنـه الـراوى الأساسى لأنه هو الذى يقوم باختيار الوقـائع ، واستبعاد بعضـها ، وإيجاز بعضها الآخر ، ثم يقـوم – فـى النهايـة – بعمليـة تنظيـم المرويات المختلفة ، وإن اختلفت – بطبيعة الحـال – ماهيـة هـذه العمليات لدى كل واحد من هؤلاء الرواة.

ويبدو لدى كتاب النمط المطول اهتمام واضح بتقديم سلاسـل الأسانيد التى نقلت المرويات ، فالواقدى ساق – فى بدايـة كتابـه – أسماء الرواة الذين نقل عنهم مغازيه قائلاً إن كلاً منهم [قـد حدثنـى بطائفة ، وبعضهم أوعى لحديثه من بعض ، وغيرهم قد حدثنى أيضًـا فكتبت كل الذى حدثونى] (١١٢) . ولذا بدأت معظم مروياته بعبـارة "قالوا" إشارة إلى أن مضمونها ومتنها منقولان عن هؤلاء الـرواة أو معظمهم ، بينما كان يتوقف فى بداية خبر من الأخبار المفردة – التـى تقدم جانب مختلفا أو متناقضًا مع الأخبار المنقولـة عـن مجموعـة الرواة الذين نقل عنهم – ليقدم سلسلة الرواة الذين نقلوا هذا الخبر.

بينما تبدو الأخبار عند ابن هشام متتابعة ومسندة إلى رواتها، وتقدم الأخبار متوالية حتى حين تتضمن معلومات متشابهة أو قريبـة من التكرار . أما عند ابن سيد الناس فرغم اعتماده على مرويات ابـن إسحاق فإنه قد أضاف إليها مرويات أخرى عن رواة آخرين أهمـهم ابن عقبة ، وهو يهتم بها حين تقدم إضافات أو تصحيحات لمرويـات

ابن إسحاق، وذلك ما يمكن وصفه بأنــه عمليــة تقــوم علــى آليــة التدقيق(١١٣). ولما كانت مرويات ابن إسحاق تشكل الخيط الســردى الأساسى الذى يتابعه ابن سيد الناس، فإنه كان حريصًا دائمــا علــى استخدام عدد من التعبيرات والصيغ التى تشير إلى عودته إلى ذلــك الخيط السردى الأساسى، مثل :"رجع إلى خبر ابن إسحاق" و" رجــع إلى الخبر عن ابن إسحاق " و " رجــع إلــى خــبر الأول" أى ابــن إسحاق.

أما كتاب النمط المختصر كــابن عبــد الــبر وابــن حــزم والطهطاوى فقد كانوا يختارون بعــض المرويــات ليشــكلوا منــها وحداتهم السردية ، وقليلاً ما كــانوا يقدمــون سلســلة أســانيد هــذه المرويات ، كما كانوا يميلون إلى الاكتفاء بالراوى الأول للخبر.

وقبل سرد الوقائع حرص هؤلاء الرواة جميعًا علــى تقليــد يتمثل فى تقديم مجموعة من الأوصاف التى حملتها هــذه الغــزوة أو تلك ؛ فغزوة بدر هى "بدر الكبرى" و "بدر القتال" ، ورغم " بســاطة " هذا التقليد فإنه يكشف عن وظيفة من وظائف الراوى المفارق لمرويــه حيث يسعى إلى تحديــد الأهميــة الاعتباريــة للأبطــال أو لبعــض الوقائع(١١٤).

ويمثل تقديم البداية الزمنية للوقائع نقطة مشتركة عند أولئــك الرواة جميعًا ، فكل منهم جعل من علم النبى (ص) بأمر قافلة قريــش وإرساله اثنين من المسلمين لتحسس أخبارها نقطة منشــأ الوقــائع ، وإن اختلفت الكيفية التى قدمت بها نقطة البداية تلك ؛ فبينما يشير ابــن

هشام إلى معرفة أبى سفيان قائد قافلة قريش بتصرف النبـــى (ص) ، فإن الواقدى يؤجل هذه الواقعة ، ويأخذ فى سرد تحـــرك المســلمين والنبى (ص) وانتقالهم من المدينة إلى بدر ، ويحدد مختلف الأمـــاكن التى مروا بها ، ويتشابه ابن حزم معه فى ذلـــك (١١٥)، وهــذا مــا يشير إلى ملمح متكرر لدى بعض رواة السيرة من حرص على تتبــع الانتقالات المكانية المفصلة للوقائع ، بينما أعمل الطــــهطاوى تقنيــة الحذف؛ إذ لم يشر إلى الأماكن التى انتقل عبرها جيش النبــــى (ص) إلا مرة واحدة فقط (١١٦).

وتبدو البنية السردية لنقطة البداية" السابقة " عنـــد الواقــدى قائمة على توالى الأخبار ، ويشير الواقدى -دائمًا- إلى الأيــام التــى وقعت فيها الانتقالات المكانية ، كما يقدم تفصيلات لبعض الجوانـــب الثانوية(١١٧).

وتمثل رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب النقطة المحورية التاليــة فى تحريك الوقائع وتوجيهها ، وهى تقدم نبوءة ضمنية أولية بخســائر قريش. ويبدو حرص الواقدى وابن هشام على تقديــــم هــذه الرؤيــا مفصلة (١١٨) ولكن الواقدى قدم - بعدها - بعض التفصيلات التـــى تصور جانبًا من جوانب الصراع بين بنى هاشم وبنى أمية ، كما قــدم الواقدى عدة أخبار منسوبة إلى شخصيات قرشية مختلفة ، يمثل كـــل خبر منها نبوءة بمصير قريش أو بعض رجالها ، وأفاد الواقدى مــــن هذه النبوآت فى تصوير دعوة بعض القرشيين إلى عدم الخروج لقتــال

محمد (ص) كما صور قيام بعض رجال قريش باستسقام الأقداح ، فخرج النهى إليهم ، لكنهم خالفوا ذلك(١١٩).

إن النبوءة تقنية من التقنيات السردية التى تشير إلى مستقبل أو مصير بعض الشخصيات المهمة ، ومن هنا لعبت دوراً أساسيًا فى السير الشعبية العربية (١٢٠)، وبها يحقق الراوى وظيفة الاستباق إذ يشير بها إلى أحداث ستقع(١٢١) فيما بعد.

إن راوى السيرة النبوية فى نمطها المطول كان يتعامل دائمًا مع الوحدة السردية بوصفها إطاراً عامًا مرنًا لا يقيد حريته فى تقديم الأخبار التى تقدم بعض التفصيلات ، أو الأخبار التي تمثل تكراراً لما قدمه من قبل ، أو الأخبار التى تدعم منحى ضمنيًا - تعبيريًا أو أيديولوجيًا - يعمل على تثبيته لدى المتلقى. وبقدر ما كانت تلك الحرية تفيد الراوى فى تحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية المتصلة بالسياقات والقوى الاجتماعية التى كان يروى السيرة فى إطارها - فإنه كانت تمنحه إمكانية تقديم بعض التفصيلات التى تهدف إلى إقناع المتلقى ، من ناحية ، وتشويق المتلقى وإثارة رغبته فى تتبع الوقائع ، من ناحية أخرى ... وذلك ما يبدو واضحًا فى سرد الواقدى وابن هشام للنقطة التالية لرؤيا عاتكة ؛ إذ يقدمان الأخبار المختلفة عن سعى قريش - قبل خروجها إلى بدر - إلى إصلاح ما بينها وبين بنى بكر ، حينئذ يلجأ الراوى (الواقدى وابن هشام) إلى تصوير ظهور إبليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى أحد زعماء بنى كنانة ليؤكد لقريش أن بنى بكر لن تهاجمها(١٢٣). وذلك

ما يدفع الراوى إلى التوقف عن سرد وقـــائع الغـــزوة ليعـــود إلـــى الماضى فيقدم تفاصيل الخلاف بين قريش وبنى بكر(١٢٤). وبقـــدر ما يمثل ذلك التوقف قطعًا لتقديم الوقائع، فإنه يهدف إلى تفسير بعـض علاقات قريش بوصفها طرفًا من طرفى الصراع.

إن محورية الدور الذى تؤديه الرؤيا فى كثير مـــن مواقـــف السيرة النبوية والسير الشعبية العربية هى التى تفسر سعى الـــراوى - فى إطار النمط المطول للسيرة النبوية - إلـــى الإبقـــاء عليـــها فـــى اللحظات التى تسبق حدوث الوقائع المهمة . وقد توقف الواقدى وابـــن هشام عند تقديم رؤيا جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبـــد المطلـــب التى تمثل بنوءة بمصير عدد من القرشـــيين الذيـــن ســـيقتلون فـــى القتال(١٢٥). وتلعب هذه الرؤيا دورًا مزدوجًا فى تشكيل الأحـــداث؛ إذ ينكص بعض القرشيين عن الذهاب إلى بدر ، بينما يزداد إصـــرار أبى جهل على القتال. وعلى مستوى تشكيل الوقائع يبدو الواقدى أكـثر من ابن هشام ميلاً إلى تقديم الحواريات - بينما يبدو ابن هشام ســـاعيًا إلى ضغط هذه الحواريـــات أو حـــذف فقـــرات منـــها أو تقديمـــها سردًا(١٢٦).

ومن الملاحظ أن الطهطاوى قد استبعد تمامًـــا تلـــك الرؤيـــا والأخبار التى سبقتها، ملتقيا فى هذا مع ابن عبد البر وابن حزم.

أما الوقائع الأساسية المرتبطة بأحداث الغزوة فهى: استشـــارة النبى أصحابه، واستطلاعه أخبار مسير قريش ، ثم تحرك المســـلمين لقتال قريش ، ثم تشاور النبى (ص) مع أصحابه واقتراح الحباب بـن

المنذر مكان عسكرة جيش المسلمين ، ثم وقائع القتال ونتائجـــه ، ولا يختلف ترتيب هذه الوقائع "الأساسية" عند هؤلاء الرواة جميعـــا ، وإن بدت بعض الطرائق التى استخدمها هذا الـــراوى أو ذاك ذات دلالـــة على منحاه فى الصياغة والتشكيل. فبينما اعتمد السرد لدى ابن هشـــام والواقدى وابن سيد الناس على تقديم مجموعة من الأخبار المتواليـــة والمتعاقبة فإن اهتمام كل منهم بتقديم سلاسل أسانيد هـــذه الأخبـــار يجعل منها - أى من هذه السلاسل - وسيلة موجهة نحو تحديد كيفيـــة للتلقى تقوم على تأكيد الفواصل بين المتلقى والوقائع التى تقدم له.

وإذا كان ابن عبد البر وابن حزم قـــد قدمـــا الوقـــائع ذاتـــها موجزة فإنهما قد اختلفا فى اعتمادهما على الاستطرادات فى تناولـــهما لبعض جوانب هذه الوقائع(١٢٧). ورغم أن كتابة الطهطاوى تشـــترك معهما فى انضوائها إلى النمط الموجز من كتابة السيرة النبوية فـــإن من اللافت أن صياغة الطهطاوى لهذه الوقائع تكشـــف عـــن بـــروز منحيين مختلفين لدى الطهطاوى؛ أولهما يعد إعادة صياغة وتشـــكيل للوقائع ، بينما يعد ثانيهما بمثابة استطراد(١٢٨).

ويبرز المنحى الأول فى سرد الطهطاوى الوقائع بلغته هـــو ، وترتيبه الوقائع ترتيبا قائما على منطق السببية مما يدفعه إلـــى تقديـــم الوقائع على أساس تواليها الزمني ، من ناحية ، ويتيح له من ناحيـــة أخرى إمكانية تقديم أو تأخير بعض الأخبار التـــى قدمـــها الـــرواة السابقون ليضعها فى سياق سببى مباشر(١٢٩) ، ويمكن أن توصـــف تلك العملية بأنها نوع من التركيب السياقى الذى يتمثـــل فـــى إنشـــاء

سياق سردى [يستلزم ترتيب مجموعة من الأحداث ، بحيث تصبح هذه الأحداث سلسلة متتالية قابلة للفهم والتتبع] (١٣٠) وتحمل دلالة. ولعل تلك العملية كانت تتطلب الارتكان إلى آلية الإيجاز والحذف ، وقد ظهرت فاعليتها فى حذف الطهطاوى لأسانيد المرويات التى كانت تشكل عائقا أمام "ضغط" السياق السردى وتركيزه، والإشارة الموجزة التى قدمها فى نهاية صياغته الوقائع إلى أسماء عدد من شهداء المسلمين وقتلى قريش ، مختلفا فى هذا عن كتاب النمطين المطول والموجز للسيرة النبوية الذين حرصوا - فى نهاية سرد وقائع الغزوة - على تقديم قوائم كاملة بأسماء من أسهموا فى الغزوة . وأسماء الشهداء وأسماء القتلى ، واللافت أن هذه القوائم كانت تحتل دائما مساحة أكبر من المساحة التى تحتلها وقائع الغزوة نفسها(١٣١).

وبقدر ما أدت تقنية الحذف والإيجاز إلى مساعدة الطهطاوى على التركيز على سلسلة الوقائع الأساسية ، فإنها لم تمنعه من الإشارة الموجزة إلى تعدد بعض المرويات أو اختلافها حول هذا الجانب أو ذاك. ورغم صياغة الطهطاوى لوقائع الغزوة بلغته هو، فإنه قد قدم - فى إطار ذلك - الآيات القرآنية المرتبطة بالغزوة ، كما قدم أيضا عددا من المرويات الحوارية أو الحديثية كما هى . وتابع الطهطاوى تقليدا من تقاليد كتاب السيرة بنمطيها يتمثل فى شرح أو تفسير بعض الكلمات أو أسماء الأماكن داخل المتن السردى(١٣٢).

ويبرز المنحى الثاني في استخدام الطهطاوى لتقنية الاستطراد بنمطيها ؛ وإن كان من الواضح أن نمط الاستطراد السردى قد أصبح عنده مرتبطًا بتقديم حكايات موجزة - أو مطولة أحيانًا - عن بعض قتلى أو أسرى بدر ؛ كحكاية النضر بن علقمة وقتله بأمر النبى (ص)، وحكاية عمر بن وهب الجمحى وصفوان بن أمية وهى منقولة عن ابن إسحاق ، وحكاية أسر العباس بن عبد المطلب فى بدر ثم إسلامه وهى تتضمن استطرادات أخرى عن زوجته وعن دعائه وإجابته ، وحكاية نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخيرًا حكاية إسلام عمرو بن العاص(١٣٣).

أما نمط الاستطراد التعليمى المباشر فيبدو أقل استخدامًا من النمط السردى ، ويبرز فى حديث الطهطاوى عن لون من الألوان البديعية يسمى غريب الاتفاق ، وتناوله لمسألة الشهادة وأنواع الشهداء(١٣٤).

وتبدو وظائف الشعر داخل تلك الوحدة السردية متسقة مع وظائفه فى إطار سيرة الطهطاوى ؛ فبعض الأشعار كانت جزءًا من الأحداث أو متممة لحكاية من الحكايات ، بينما كان بعضها الآخر بمثابة إعادة لما قيل سردًا أو وصفًا ، فى حين أن بعض الأشعار قد سيقت بهدف تأكيد الفكرة، بينما مثلت بعض النماذج الشعرية استطرادًا على الاستطراد السردى أو النثرى فى كتابة الطهطاوى(١٣٥).

تفضي دراسة عناصر التشكيل السردي للسيرة عند الطهطاوى - بداية من تنظيم الوحدات السردية الكبرى ، واستخدام تقنيتى الإيجاز والحذف والاستطراد لتأدية وظائف مختلفة ترتبط بتقديم المواد السردية ، وانتهاء بتوظيف الشعر فى سياقات السرد، وكيفية بنية الوحدة السردية الوسطى - إلى الكشف عن تجليات التجديد فى كتابة السيرة البنوية لدى الطهطاوى. فإذا كانت كتابة الطهطاوى قد انطلقت من التماس مع كتابة الرواية التاريخية والرواية التعليمية فى مرحلة (١٨٧٠- ١٩١٤) فإن هذا المنطلق هو الذى حدد للطهطاوى التجديد فى تقاليد كتابة السيرة النبوية بوصفها نصا سرديا ، وذلك ماحققه بإعادة تقديم السيرة فى شكل جديد يفيد من التقاليد الكتابية والصياغية المختلفة التى تجلت فى أنماط كتابة السيرة النبوية السابقة عليه.

وقد بدت فى التشكيل السردى الذى قدمه الطهطاوى ملامح تماس "قوية" مع الرواية التاريخية المعاصرة له ، سواء فى الاعتماد على أحداث تاريخية، وحذف أسانيد المرويات ، واستخدام تقنية الاستطراد لتؤدى وظائف تعليمية مباشرة أو غير مباشرة ، أو توظيف الشعر داخل السياقات السردية المختلفة ليؤدى وظائف مماثلة لوظائفه فى الرواية التاريخية المعاصرة له. وأما خاصية تنظيم الوقائع تنظيما قائما على منطق السببية - مع إعمال تقنية الحذف والإيجاز - والتى تبدت فى صياغة الطهطاوى للوحدة السردية

الوسطى الممثلة فى الغزوة – فهى دال كاشف عن التماس الشديد بين التشكيل السردى لبعض وحدات السيرة عند الطهطاوى والرواية التاريخية المعاصرة له ، بل إن سبق الطهطاوى لمعظم نماذج هذه الشكل الروائى – فى مرحلة (١٨٧٠-١٩١٤) – يشير إلى إمكانية النظر إلى كتابة الطهطاوى السيرة النبوية بوصفها فعلا إبداعيا مسهما بفاعلية فى التمهيد للرواية التاريخية. وذلك ما يكشف عن جانب جديد من جوانب ريادة الطهطاوى فى مجال كتابة أو تقديم الأشكال السردية الحديثة؛ إذ لا تقتصر ريادته – فى هذا المجال على كتابه "تخليص الإبريز" وترجمة " وقائع تليماك" أو عمله الصحافى الذى أسهم – فيما يرى آلان روجر – فى تطور الرواية العربية (١٣٦) ، بل تمتد أيضا إلى إعادة صياغة متن السيرة النبوية وجعله شكلا مسهما فى التمهيد للرواية التاريخية.

وبقدر ما يبدو فى كتابة الطهطاوى السيرة من تماس مع الرواية التاريخية فإن ذلك التماس هو الذى يمكن أن يفسر "خفوت" تأثير الكتابات الغربية – والفرنسية تحديدا – عن النبى "ص" على كتابة الطهطاوى ؛ فعند إقامة الطهطاوى فى باريس (١٨٢٦-١٨٣١) واتصاله بالثقافة والأدب الفرنسيين كان هناك خمسة عشر عملا فرنسيا تناول النبى "ص" سواء بكتابة سيرته ، أو بتقديم وصف تاريخى له ، أو بتقديم فهم جديد له يكشف عن رؤية جديدة له تخالف رؤية القرون الوسطى، واستلهام شخصيته فى بعض الأعمال الإبداعية الكبرى (١٣٧). ولا يبدو تأثير هذه الكتابات على كتابة

الطهطاوى السيرة على الرغم مما يبدو فى " أنوار توفيق الجليل" مـــن اتصال الطهطاوى بكتابات المستشرقين حول بعض جوانـــب الثقافــة "الدينية" العربيـــة(١٣٨)، فلعــل الطــهطاوى لــم يعــن بمــا كتبــه المستشرقون الفرنسيون السابقون عليه والمعاصرون له عـــن ســيرة النبى "ص".

ولقد كانت كتابة الطهطاوى السيرة النبوية بصياغة تشـــكيلها السردى نابعة من الموقف الذى كان الطهطاوى يسعى إلـــى تأصيلـــه لدى من توجه إليهم بها.

(٦)

إذا كان درس التشكيل السردى للسيرة النبوية لدى الطهطاوى قد كشف عن جوانب التجديد فى كتابته لها ، فإن استنباط الموقف الذى تنطوي عليه تلك الكتابة سيفضى إلى إدراك مستويات الدلالة فيها ، وهذا ما يتطلب الالتفات إلى أنماط المتلقين الذين تلقوا نص الطهطاوى ، ودور الوسيط الثقافى الذى حمل كتابة الطهطاوى إليهم.

تركزت فى شخصية الرسول (ص) الصفات الأساسية التى شكلت مرتكزات البطولة لدى الجماعة العربية عبر عصورها المتوالية ، وتلخصت هذه الصفات فى [اتصال نسبه بما يثبت عروبته وشرفه وأهمية آبائه جميعا] (١٣٩) و [دفاعه عن مبدأ أوعقيدة ، وأيا كان هذا المبدأ أو تلك العقيدة فلابد أن تكون خيرة مؤمنة](١٤٠) وتعضيد أفعاله بقوة [غيبية خارقة تثبت صحة ما يدافع عنه من مبدأ] (١٤١) ، والاتساق بين أفعاله وأقواله التى تهدف إلى تحرير الإنسان ، وإرساء قيمة العدالة، وتأسيس السلوك على قيم أخلاقية مثالية.

ولعل هذا ما يفسر، من ناحية ، بقاء سيرة الرسول (ص) طوال حياة المجتمع العربى، وتأثيرها فى تشكيل نموذج البطل فى السير الشعبية العربية ، من ناحية أخرى، ولا ينفى انقطاع المصريين - قبل الطهطاوى بأربعة قرون عن كتابة السيرة النبوية - بقاءها حية وفاعلة فى الوجدان الشعبى المصرى / العربى . ومن هنا كانت

كتابة الطهطاوى "نهاية الإيجاز" بمثابة إعادة تقديم النموذج البطولى الذى تعكسه شخصية الرسول (ص) ، ليجعل منه وسيلة مباشرة وضمنية فى الآن نفسه لنقل موقفه أو رسالته الإصلاحية إلى دوائر المتلقين الذين يتوجه إليهم.

وتتمثل الدائرة الأولى فى شرائح من المتعلمين والمثقفين الذين أنجبهم النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على ودعمه إسماعيل فيما بعد ، وقد كان الوسيط الثقافى الذى نقل "نهاية الإيجاز" إلى تلك الدائرة مؤسسة "جديدة" من مؤسسات إرساء التحديث وتثبيت التمدن ، إذ أسهمت مجلة "روضة المدارس" - طوال سنوات صدورها (١٨٧٠-١٨٧٧) - فى مسيرة التحديث سواء بتقديم العلوم الجديدة التى كان المجتمع المصرى يحتاجها، أو بتقديم المعارف الجديدة التى ترتبط بمجالات التاريخ والفلسفة والاجتماع ، أو بالإسهام فى إعادة تشكيل بعض الأشكال الأدبية القديمة كالمقامة ، أو بتشجيع الأشكال الأدبية الجديدة، ثم بمحاولة تطويع اللغة العربية لتصبح قادرة على الوفاء بمتطلبات التعبير عن الأفكار والصيغ الفنية الجديدة(١٤٢).

وقد كان نشر "نهاية الإيجاز" فى "روضة المدارس" وسيلة لنقل الرسالة الإصلاحية التعليمية التى يتضمنها إلى فئات واسعة من المتلقين ، وهذا ما تؤكده طريقة توزيع " روضة المدارس" ؛ إذ [كان ديوان المدارس يرسل إلى المدارس بعض أعدادها ليشتريها المدرسون مُنَبِّهًا إلى الحذر من عدم ارتداد أى نسخة من الروضة ، ثم قرر الديوان أن يشتريها جميع الموظفين فى المدارس ، والمكاتب

الأهلية ممن يزيد مرتبهم عن ٢٥٠ قرشًا فى الشهر ، وكـــان ديــوان المدارس أيضًا يرسل أعدادًا من روضة المدارس إلى أعيـــان البـــلاد ليقوموا بتوزيعها](١٤٣).

وأما الدائرة الثانية التى توجه إليها الطهطاوى بكتابته "نهايـــة الإيجاز" - بما تنطوى عليه من تقديم شخصية الرسول (ص) بوصفـه النموذج البطولى العربى الإسلامي ـــ فهى دائرة السلطة والحـــاكم ، وهذا ما يحتاج إلى إضاءة موسعة تكشـــف عــن تحــولات علاقــة الطهطاوى المثقف بالسلطة وتأثيرها فى تحولات بعض أفكاره.

إن الطهطاوى - كما وضعه غالى شكرى فى إطار تصنيفـــه للمثقفين المصريين فى القرن التاسع عشر من منظور علاقة المثقـــف بالسلطة - يمثل نموذج "المثقف الشـــامل" ؛ أى المثقـف ذى الرؤيـــة الشاملة الواعية بجوانب النهضة ووسائلها وغاياتها ، وذلك فى مقـــابل المثقف الداعية السياسى كعمر مكــــرم ، والمثقـف الخبـــير كعلـــى مبارك . وإذا كانت هذه الأنماط الثلاثة قد ولدت فى رحـــم الســـلطة فإن الطهطاوى المثقف الشامل كان - فى صياغته "مشروع" [تحديـــث القوة الاجتماعية والفكرية القادرة على إقامة مجتمع النهضة المتصــــل والمشارك فى الحضارة الحديثة (...) ينطلق أو ينكفئ داخل مؤسســـة الدولة ، يتقاطع مشروع ومشروعها ويتوازيان ، ولكنه لا يخرج عــن المؤسسة](١٤٤).

وإذا كانت كتابات الطهطاوى التجديدية قد واكبت مســـاعى محمد على لتحديث المجتمع المصرى، فإن نفيه إلى الســـودان لمـــدة

خمس سنوات (١٨٥٠-١٨٥٤) فى عهد عباس الأول - الذي امتد ست سنوات فقط (١٨٤٩-١٨٥٤) ـ قد جعل سلبيات الحكم المطلق والمستبد تتجسد بقوة فى وعيه . فبعد أن كان الطهطاوى يستمد معرفته بتلك السلبيات من اتصاله بالفكر السياسى الأوروبى ، أصبحت تجربة منفاه تجربة عيانية جسدت له تلك السلبيات. واللافت أن استبداد عباس الأول قد ارتبط بقضائه على كثير من المشروعات الإصلاحية - فى مجال التعليم خاصة ـ التى أسسها محمد على . وذلك ما كشف لرفاعة عن السلبيات الاجتماعية التى تتولد عن الاستبداد .

وإذا كانت هناك أسباب مختلفة حول أسباب نفى رفاعة - أو على الأقل إبعاده - إلى السودان -(١٤٥) فإن واحدا من أقواها يتمثل فى [احتواء الطبعة الثانية من تخليص الإبريز عام ١٨٤٩ على فقرات تنقد مبدأ الحكم المطلق](١٤٦).

ولقد كان ذلك التحول فى علاقة الطهطاوى بالسلطة الممثلة فى الحاكم ، وبروز سلبيات الحكم المطلق أمامه دافعا إلى ترجمته "وقائع تليماك" ؛ إذ كانت هذه الترجمة وسيلة لنقد ذلك الحكم، بما تضمنته هذه الرواية من حواريات كثيرة يقوم فيها الحكيم منظور بتعليم تليماك طريقة تسيير الحكم على أساس من الحرية، ويكشف له عن خطورة الاستبداد وعواقبه الوخيمة.

وعلى الرغم من أن علاقة الطهطاوى بإسماعيل - الذى تولى الحكم فى الفترة من ١٨٦٣-١٨٧٩ - كانت "جيدة" فليس من

المستبعد أن تكون كتابته "نهاية الإيجاز" بمثابة رسالة ضمنيـــة إلــى الحاكم ، تقوم على تقديم صورة الرسول (ص) بوصفه نموذجًا يجمــع بين البطولة، من ناحية، والإصلاح من ناحية ثانية ، والخلق المثـــالى من ناحية ثالثة... وتعضد هذا "التأويل" مجموعة مـــن الـــدوال التـــى تتبدى فى كتابات الطهطاوى بعد المنفى بصفة خاصة.

ويتصل أول هذه الدوال بما تكشـــف عنـــه قـــراءة "منـــاهج الألباب" (١٨٦٩) مقارنة بتخليص الإبريز (١٨٣٤)، من بروز قيمـــة العدالة فى الأول ، بينما كانت قيمة الحريه هى الســـائدة والمســـيطرة على خطاب الطهطاوى فى الكتاب الثـــانى (١٤٧). ويبـــدو حـــرص الطهطاوى على تقديم قيمة العدالة فى "مناهج الألباب" قرين الكشـــف عن تعدد جوانبها ؛ فهى - من ناحية - أسُ قيـــام المجتمـــع وبقائـــه واستمراره، أو هى - حسب وصف الطهطاوى - أســـاس التمـــدن، فالعدل هو [الأصل فى سعادة الممالك] (١٤٨)، وهى - مـــن ناحيـــة ثانية - الأساس الذى فى ضوئه تقام قوانين توزيـــع الســـلطة داخـــل مؤسسة الحكم ؛ إذ [لما كانت السياسة جسيمة لا يقـــوم بـــها واحـــد اختص الملك بمعالى الأحكام وكلياتها وخلع بعض نفوذه فى جزئيـــات الأحكام على المحاكم والمجالس وجعل لهم لوائح وقوانين خصوصيـــة ترشد أفعالهم ولا يتعدونها. قال بعضهم ليســـت فـــى الدنيـــا جمعيـــة منتظمة ولا مملكة معتدلة الأحكام إلا وتكون القـــوة فيـــها بـــالأصول العدلية، فالأصول العادلة تصون ناموس الدولة عن الملامـــة](١٤٩). بينما يجعل الطهطاوى العدالة - من ناحية ثالثة - حقًا تامًا من حقـوق

الرعية إذ إن [مأمورية العدل أول واجبات ولاة الأمور وهـو وضـع الأشياء فى مواضعها ، وإعطاء كل ذى حق حقه والإنصاف بمـيزان القوانين](١٥٠).

وبقدر ما كان ذلك الدال الأول يقترن بسعى الطهطاوى إلـى التأكيد على ترسيخ العدالة قيمة شاملة فى تنظيمها المجتمع وتحديدهـا توزيع السلطة وكونها السمة التى ينبغـى أن تحكـم علاقـة الحـاكم برعيته - فإن الدال الثانى يتصل بالتصور الذى يطرحه الطـهطاوى للعلاقة بين الكاتب أو المفكر والحاكم ، ويكشف هذا الـدال - عـبر مجموعة من النقول التى "يجيد" الطهطاوى انتقاءها وتقديمها - عـن إعلاء الطهطاوى لشأن الكاتب والمفكر على الحاكم ، وهذا ما يتجلـى فى تكرار نقوله على شدة احتياج الحاكم إلى الكاتب والمفكر ؛ فـإذا كان [الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الإنشاء كيف يشاء](١٥١) فـإن الكتاب هم [سياسة الملك وعماده وأركان السلطان وأطواده ، بأقلامـهم تبسط الأرزاق وتبيض الآمال ، وبها تصان المعاقل إذا عجزت عـن صونها الرجال](١٥٢). ويقرن الطهطاوى فعـل الكتـاب بالحكمـة ورجاحة العقل؛ فبالكتابة [والكتاب قامت الرياسة والسياسـة وإليـهم ألقى تدبير الأعنة و الأزمة](١٥٣).

ومن هذا المنظور الذى يعلى من فعل الكتابـة كاشـفا عـن المهام الاجتماعية والسياسية التى يستطيع ذلك الفعل تحقيقها - احتفـى الطهطاوى بمقولة ابن المقفع إن [الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب

إلى الملوك ، ومن فضل الكتابة أن صاحب السيف يزاحم الكاتب فـــى قلمه ولا يزاحمه الكاتب فى سيفه](١٥٤).

وإذا كان الطهطاوى قد قرن العدل بالتمدن ، مـــن ناحيـــة ، وجعل من الكاتب والحكيم مرشدا للحاكم وسائسا له من ناحية ثانيـــة ، فإن الدال الثالث الذى يتولد عن الدالين السابقين قد تبدى فـــى ســـعى الطهطاوى - على ما يبدو بوضوح فى "مناهج الألباب" - إلى تقديـــم أمثلة مختلفة من تاريخ مصر القديمة وغيرها من الدول تكشف عـــن انصياع الملك الحاكم للحكماء وعمله بنصائحهم ضمانا لبقـــاء الدولـــة وترسيخا للعدل(١٥٥).

وقد أسس ذلك الدال الثالث لدال رابع أنشأه الطهطاوى بقران وصل فيه بين عدالة الحاكم/ الملك من ناحية، ودور الـــرأى العـــام ، من ناحية ثانية ، ووظيفة التاريخ من ناحية ثالثة، فكشف ذلك القـــران عن صورة من الجدل بين عدالة الحاكم التى تتجلـــى فـــى أفعالـــه ، وتأثيرها فى الرأى العام بوصفه متلقيا لهذه الأفعال ، ودور التـــاريخ بوصفه وسيلة سردية تبقى ذكر الحاكم أو تخمله ؛ فمما يحمل الملـوك على العدل [ويحاسبهم محاسبة معنويـــة الـــرأى العمومـــى أى رأى عموم أهل مملكتهم أو ممالك غيرهم ممن جاورهم من الممـــالك (...) ومما يحاسب الملوك أيضا على العدل والإحسان التاريخ، أى حكايـــة وقائعهم لمن بعدهم من ذراريهم وخلفهم من الأجيـــال التاليـــة ، فـــإن المؤرخ يذكر للأمة أخبار ملوكها فينتقل من العين إلى الأثـــر ومـــن

البيان إلـــى الخـــبر فيثبـــت محاســـن الملـــوك ومثالبـــهم لأعقابـــهم ليعتبروا](١٥٦).

ويتضام مع الدوال الأربعة السابقة دال خامس يتمثل - فيمـــا لاحظناه من قبل من تأكيد الطهطاوى على إمكانية تعـــدد مســـتويات الدلالة فى النص السردى ، وما لاحظه بعض دارسيه من لجوئه إلـــى بعـــض طرائـــق التحفـــظ والتخفـــى لتقديـــم أفكـــاره الإصلاحيـــة والنقدية(١٥٧).

إن تلك الدوال الخمسة السابقة تشير إلى أن "نهاية الإيجـــاز" بتقديمه صورة النبى (ص) بوصفه نموذجًا للبطل العربى فى صفاتـــه المثالية أخلاقيًا وإنسانيًا وسلوكيًا - إنما كان يمثل رسالة ضمنية إلـــى الحاكم ، وهذا ما يكشف عن المستوى الثانى من مستويات تلقى نـــص الطهطاوى ، أو إمكانات إرساله التي تتحقق علي نحو رمزى .

الهوامــش

(١) انظر: طه وادى: الشعر والشعراء المجهولون فى القرن التاســع عشــر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٩٥، ص — ص ٢٥٣- ٢٧٥ ، ولاسيما ص — ص ٢٦١-٢٦٧ حيث يحلل مظاهر التجديد فى شعر رفاعة.

(٢) عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة فى مصــر (١٨٧٠-١٩٣٨) الطبعة الرابعة ، دار المعارف،١٩٨٣، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ٦٣.

(٤) عمر الدسوقى: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربى، دون تاريخ ، ص — ص ٣٠-٤٦.

(٥) انظر: عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر، الطبعة الثالثـة، دار الفكر العربى ١٩٦٤، ص — ص ٨٨-١٣٩ ، والصفحات التى تناول فيها أساليب الطهطاوى هى ص— ص ١٢٧-١٣٩.

(٦) انظر: جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسـع عشر، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٠، ص — ص ٤٩-٨٣.

وانظر أيضا: جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر: دراسة فى التحول الوطنى، ترجمة وتعليق عبد الوهــاب بكــر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص— ص ٩٩-١٢٤.

(٧) محمد عبد الغنى حسن: سيرة محمد فى الأدب الحديث ، مجلة الهلال، عدد أغســطس، ١٩٧٨، ص - ص ٦٤-٧٠، والفقــرة المنقولـــة ص ٦٥.

وانظر أيضا :

Wessels, Antonie: Modern Biographies of the life of the prophet Muhammad in Arabic, in: Islamic culture, Vol. 49 , No 2, 1975. P-P 99-105.

(٨) جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشـر، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٩) حسين فوزى النجار: رفاعة الطهطاوى: رائد فكر وإمام نهضـــة، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧، ص ١٣٩. وانظر أيضا: أحمد أحمـــد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك ، لجنة البيان العربـــى ١٩٥٠، ص— ص ١٠٨-١٢١، حيث عرض كتابات الطهطاوى فى التاريخ ومنـــها "نهايـة الإيجاز" دون تحليل.

(١٠) حسين فوزى النجار: رفاعة الطهطاوى: رائد فكر وإمام نهضة ، مرجـع سابق، ص ١٤٣.

(١١) محمد حامد الحضيرى: رسول الإنسانية محمد صلوات الله عليه فى الأدب العربى الحديث، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، ١٩٩٠، ص ٧٦.

(١٢) محمد حامد الحضيرى: المرجع السابق ص ٧٦.

(١٣) انظر المرجع السابق ص-ص ٣٥-٤١.

(١٤) انظر مجلة روضة المدارس، السنة الرابعة، العدد العشرين (غاية شـــوال ١٢٩٠هـ) ص ٣٥٠ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب المصرية ١٩٩٨.

(١٥) انظر: رفاعة رافع الطهطاوى: نهاية الإيجاز فى سيرة ســاكن الحجــاز، تحقيق عبد الرحمن حسنى محمود وفاروق حامد بـــدر ، مكتبـة الآداب، ١٩٩٠.

(١٦) روضة المدارس، مرجع سابق، السنة الخامسة، العدد الثانى عشر، (غاية جمادى الثانية ١٢٩١هـ) ص ٥٣٠.

(١٧) انظر: روضة المدارس، مرجع سابق، السنة الثالثة ، العدد الرابع (غايـة صفر ١٢٨٩هـ) ص — ص ٤٤-٤٥.

(١٨) للإحاطة بمسألة نشأة رواية السيرة النبوية وتدوينها، انظر الكتابات التالية:

- دائرة المعارف الإسلامية — مادة السيرة- المجلد الثانى عشـر، ص — ص ٤٣٩-٤٥٨ ، طبع لجنة الترجمة ١٩٣٣.
- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الجزء الثانى، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب ، ١٩٩٨، ص — ص ٣١٩-٣٣٩.

- محمد عبد الغنى حسن: التراجم والسير، دار المعارف ١٩٥٥، ص — ص ٣٠-٣٤.
- مارسدن جونس: مقدمته تحقيقه لكتاب المغازى للواقدى، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٦، الجزء الأول، ص — ص ٥-٣٥ ، ولاسيما ص — ص ١٩-٢٩.

(١٩) انظر : محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٩٣٩، الأجزاء الأربعة الأولى.

(٢٠) من أمثلة السيرة التى استخرجها المحدثون من كتب التاريخ ونشروها مستقلة:
- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٤٧ هـ): السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ١٩٦٤ ، وهى مستخرجة من كتابه " البداية والنهاية" .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحيم) (ت ٨٠٨ هـ) السيرة النبوية ، صححه وخرج أحاديثه: أحمد البزرة ،الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٩٨ ، وهى مستخرجة من تاريخ ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر" .

(٢١) عبد الملك بن هشام: سيرة النبى، صلى الله عليه وسلم، حقق أصلها وضبط غرائبها، وعلق عليها محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة محمد على صبيح ١٩٧١، الجزء الأول، ص ٢. وقد ذكر ابن هشام فى بقية نصه أن مما حذفه أشياء يسوء بعض الناس ذكرها ، وأشياء أخرى لم يقر له البكائى بروايتها.

(٢٢) انظر: ابن سيد الناس (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى اليعمرى) عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧، الجزء الأول صفحات: ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٩، حيث يقدم مجموعة من

المرويات التى قدمها رواة آخرون —لاسيما ابن عقبة - عن وقائع غـزوة بدر.

وانظر ص ٢٩٤ حيث يقدم خبرا يصحح به خبر ابن إسحاق عن عـــدد القرشيين الذين خرجوا للقتال فى بدر.

(٢٣) مارسدن جونس: مقدمة تحقيقه لكتاب المغازى، مرجع سابق، ص٣١.

(٢٤) انظر: ابن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمرى): الدرر فـــى اختصـــار المغازى والسير، تحقيق د. شوقى ضيــف، المجلــس الأعلـــى للشـــئون الإسلامية، ١٩٩٥.

– ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد): جوامع الســـيرة وخمـــس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعـــارف ١٩٥٦.

(٢٥) انظر : المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : إمتاع الأسماع بما للنبـــى صلى الله عليه وسلم من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسى ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٨١.

(٢٦) عبد الله إبراهيم: السردية العربية : بحث فى البنية الســـردية للمـــوروث الحكائى العربى، الطبعة الثانية، المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشـــر، بيروت ٢٠٠٠، ص ١٧٠.

(٢٧) عبد الله إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٢٨) عبد الحميد بورايو: المغازى لون من السير الشعبية العربية ، مجلة الفنون الشعبية، عدد ٥١، إبريل — يونيه ١٩٩٦، ص٣٧.

(٢٩) عبد الرحمن السهيلى: الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القـــاهرة ١٩٦٧، الجزء الأول ص ٣٥، وانظر أيضا ص ٣٣. وانظر نموذجًا فـــى شرحه لغزوة بدر فى الجزء الخامس من كتابه حيث قدم جزءًا من نـــص ابن هشام ص — ص ٨١-١١٥ ، ثم قدم شروحه وتعليقاتـــه ص — ص

١١٦-١٤٤ ، ثم عاد إلى تقديم بقية نص ابن هشـــام ص — ص ١٤٥-١٧١ ، بينما قدم شروحه وتعليقاته عليه ص — ص١٧٢-٢٠١.

(٣٠) انظر: القاضى عياض(أبو الفضل عيــاض بــن موســى بــن عيــاض اليحصبى): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، جزآن ، تحقيق على محمـــد البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٧٧.

ويمكن أن يضاف إلى هذا النمط كتاب الوفا بأحوال المصطفى ، الـذى ألفه ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى) ، وهو يتشابه مـع كتاب "الشفا" فى تناوله لموضوعات كثيرة ، ويختلف عنه فى أمور أهمها: حذفه أسانيد الأخبار ، وذكر القليل من أشعار السيرة ، وتناوله حـــوادث السيرة بإيجاز ودون تعليقات دائمًا. انظر: ابن الجوزى : الوفا بـــأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثـــة ، القــاهرة ١٩٦٦.

(٣١) انظر — على سبيل المثال — الصفحات التالية التى يحيل فيها الطهطاوى إلى مصـــادره: ٥ ، ٧ ، ١٥-١٦ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠-٤١ ، وغيرها . وحول مصادر الطهطاوى التراثية فى "نهاية الإيجاز" وفى كتبه الأخرى انظر الدراسة التالية:رضوان السيد: حضور التراث العربى فـــى كتابات الطهطاوى: الوظائف والدلالات ، دراسة غير منشورة.

(٣٢) أشرنا من قبل إلى أن عبد المحسن بدر قد وضع "تلخيص الإبريــز" فـــى إطار الرواية التعليمية ، ثم ذكر أنه لا يمكن [اعتبـــاره بدايـــة للروايـــة التعليمية إلا بكثير جدًا من التجاوز] ، تطور الرواية العربية ، مرجع سابق ص ٦٠، بينما وصف علم الدين بأنها رواية تعليمية ، انظر تطور الرواية العربية، ص — ص ٦٧-٧٢. أما أحمد درويش فيرى أن على مبارك قد [وضع بذرة للرواية التعليمية فى الأدب العربى المعاصر ممثلة فى علـــم الدين] أحمد درويش: تقنيات الفن القصصى عبر الراوى والحاكى، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٨، ص ١٢٧، ونشير إلـــى أن الاقتبـــاس

المذكور من فصل عنوانه [على مبارك: قراءة فى علم الديـن] ص — ص ١٢٣-١٤٨.

(٣٣) على مبارك: علم الدين ، الجزءان الأول والثانى، طبعة الهيئة المصريـة العامة للكتاب، ١٩٩٣ ، ص ٨ من المقدمة.

- نشير إلى أن القليل من روايات زيدان كان يتناول بعض أحـداث العصـر الجاهلى تمهيدًا لتصوير التغير الذى أحدثه ظهور الإسلام فى الشخصيات التى عاصرت الجاهلية وبداية الإسلام ، على نحو ما يظهر فى روايتـه "فتاة غسان" التى صدرت عام ١٨٩٨.

(٣٤) عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة، مرجع سـابق ، ص ٩٧. **وتجنبًا للإطالة فى المتن سنتوقف — فى نهاية تحليـل خصـائص الرواية التاريخية— أمام رواية "العباسة أخت الرشيد" فى الهامش الأخير من هوامش هذه الخصائص.**

(٣٥) أحمد درويش: تقنيات الفن القصصى عبر الراوى والحاكى، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٣٦) انظر — على سبيل التمثيل — جرجى زيدان: فتاة غسان ، الجزء الأول ، طبع دار الهلال ١٩٨٣. وانظر أيضا روايته العباسة أخت الرشيد، ضمن المجلد الثالث من روايات تاريخ الإسلام ، طبع بيروت، دون تحديد للناشر أو سنة النشر. وانظر: جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام فى دار السلام ، الطبعة الثانية ، مطبعة المؤيد ١٩٠٥، حيث يقدم فى نهاية روايته ثبتًـا بالأسفار [التى وجدت بين يدىّ وأسندت إليها رواية الرحالـة] ص — ص ٣٧٣-٣٧٦، ويقسم هذه المصادر تبعًا لموضوعاتها.

(٣٧) جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام فى دار السلام، مرجع سـابق، ص أ من المقدمة.

(٣٨) جميلة نخلة المدور: حضارة الإسلام ، ص ب من المقدمة.

(٣٩) محمد يوسف نجم: القصة فى الأدب العربى الحديث فى لبنان حتى الحرب العظمى، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٢ ، ص ١٧٨. وانظر أيضا: تطـور الرواية العربية الحديثة، مرجع سابق، ص ١٠٤- ١٠٦.

(٤٠) انظر: تطور الرواية العربية الحديثة ص ١٠٦ ، القصة فى الأدب العربى الحديث، مرجع سابق، ص ١٨٥، ١٩٢.

(٤١) فى الجزء الأول من علم الدين تمضى المسامرات من المسامرة الحاديـة عشرة إلى الثامنة عشرة على النحو التالى: الخانات واللوكندات ، النساء ، البوستة ، المكاتبة، الملاحة ، التعلم والتعليـم ، البحـر وعجائبـه ، ثـم البراكين.

- واللافت أيضًا أن بعض المسامرات تتألف من موضوعات مختلفة ولذلك كان مبارك يعطيها عنوانًا دالاً على ذلك ، فالمسامرة العاشرة يسـميها شتى ، بينما التاسعة عشرة يسميها شذور ، مما يشير إلى تصـوره أن وحدة الموضوع كانت تؤدى إلى اتصال المسامرة أو وحدتها.

(٤٢) تتبدى السمات المشار إليها فى المتن فى رواية "العباسة أخت الرشـيد" بدءًا من العنوان الفرعى الذى يصفها بأنها [تشتمل على نكبة البرامكـة وأسبابها ، وما يتخلل ذلك من وصف مجالس الخلفاء العباسيين وملابسهم ، ومواليهم ، وحضارة دولتهم فى عصر الرشيد] ، ومرورا بمـا أثبتـه المؤلف فى الصفحة التالية لصفحة العنوان من قائمة المراجع التى اعتمـد عليها. أما حبكة الرواية فتجمع بين حكايتين تصور أولاهما وقائع صعـود البرامكة وسقوطهم عبر أحداث كثيرة ، وتركز على علاقة جعفر البرمكى بالعباسة أخت الرشيد بوصفها حكاية تتضمن خيطًا عاطفيًا قويًا ، وحكايـة أخرى تصور حب أبى العتاهية لعتبة جارية العباسـة، وعـبر اسـتخدام تقنيات المصادفة والحيلة والمفاجأة — والصراع أحيانًا — تبدو الملامـح التعليمية واضحة فى :

- تقديم وصف تفصيلى لقصـــور بغـداد وأسـوارها (ص-ص ٣-٤) ، ووصف تفصيلى لقصر الأمين وبستانه ، وكذا قصر الرشيد (٨٧-٨٨) ، ثم وصف قصر زبيدة (٧٩-٨٠).
- وصف جوانب الحياة الاجتماعية والحضارية لاسيما فى قصور الخلفـاء وعلية القوم ؛ كوصف جوانب اللهو (٥٧-٦٤) وموكب الرشـيد (٨٥) ووصف الرقيق وأصنافهن وطرق تربيتهن وإعدادهن لمتطلبات الحيـلة العباسـية (٢٣-٢٨) ، وظـاهرة التمسـك بالطـالع (١٣٧-١٣٨) ، وتصوير مجالس الرشيد فى جده ولهوه (٩٩-١٠٤) ، ويبدو اهتمـام المؤلف بالجوانب التاريخية فى الموضوعات السـابقة وفـى وصفـه للملامح الخارجية للشخصيات واضحًا.
- تصوير أجواء التنافس السياسى فى بلاط الحاكم— كما فـى تصويـر الصراع بين الفضل بن الربيع والبرامكة ، أو بدايات الصـراع بيـن الأمين والمأمون ، أو لجوء أفراد الطبقة الحاكمة إلى التجسس علـى بعضهم البعض.
- الاتكاء على تقنية الاستطراد كما فى الصفحـات : ١٣ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦-١٧ ، وغيرها . ففى الموضع الأول على سبيل المثال— ينتقـل الراوى من الحديث عن بعض ملامح العباسة الخارجية إلى الحديـث عن أول من اتخذت العصابة المكللة ، بينما ينتقل فى الموضع الثـانى من تقديم الملامح الخارجية للفضل بن الربيع إلى الحديث عن أنـواع الأمزجة وتأثيرها فى السلوك ، وهو ما يتكرر مرة أخـرى ص ٤٠، بينما تهدف بعض الاستطرادات إلى التأثير العاطفى فى القارئ وتقديم بعض النصائح والحكم التى يستخلصها الراوى من الموقف ، كما فـى كلام الراوى (١٦-١٧) الذى يرد بعد وصفه لقاء العباسة بجعفر.

(٤٣) أحمد درويش: تقنيات الفن القصصـى ، ص— ص ١٤٠-١٤٥. حيـث يمثل لهذه الظاهرة بقصة يعقوب التى بدأت فى المسامرة الثالثة والخمسين

– والتى حملت عنوان "حكاية يعقوب" وانتهت فى المسامرة الثانيـــة بعـــد المائة — والتى حملت عنوان " تتمة حكاية يعقوب" ، وقد تخللـــــت هـــذه القصة قصص أخرى كثيرة عن أحوال البحار وغابـــات أفريقيـــا وحيـــاة الكنسية والدير وغيرها ، انظر: علم الدين الجزء الثانى ص– ص ٦٥١– ٧٧٨ ، الجزء الثالث ص — ص ١١٥٣ – ١٢٥٢.

(٤٤) طه حسين : على هامش السيرة، الجزء الأول، الطبعة الثامنة عشرة ، دار المعارف ١٩٦٨، ص ك من المقدمة.

(٤٥) المرجع السابق ، ص ك من المقدمة.

(٤٦) انظر: جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر، مرجع سابق ، ص ٨٠.

(٤٧) حول آراء الطهطاوى فى الأدب ومسائله ، يمكن مراجعة دراسة عطيـــة عامر التالية: رفاعة الطهطاوى ... الناقد الأدبى، ضمن كتاب : شـــوقى ضيف : سيرة وتحية (دراسات فى الأدب والنقد واللغة) إشراف طه وادى دار المعـــارف ١٩٩٢ ، ص — ص ٣٣٨–٣٥٧. وهـــى تعـــرض آراء الطهطاوى فى الأدب ، وتقارن بينه وبين بعض النقاد الفرنسيين الســـابقين عليه أو والمعاصرين له. وإن كنا نأخذ عليها عدم رجوع المؤلـــف إلـــى مقدمة الطهطاوى وديباجة ترجمته لرواية "وقائع تليماك" التى تعد — فيمـــا نرى — أهم كتابات الطهطاوى فى النقد الأدبى.

(٤٨) رفاعة الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصـــر وتوثيـــق بنـــى إسماعيل، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراســـات والنشـــر ، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٩٧، والجدير بالتنويه أن المحقق قد جعل من هـــذا الكتاب الجزء الثالث من الأعمال الكاملة لرفاعة ونشـــره تحـــت عنـــوان "تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام" بينما وضع العنوان الأصلى للكتـــاب بخط صغير ص ٧.

(٤٩) رفاعة الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل ، مرجع سابق ص ٥٩٨.

(٥٠) انظر: على شلش : نشأة النقد الروائى فى الأدب العربى الحديث ، مكتبة غريب ١٩٩٢، ص ٤١.

(٥١) حول مواقف بعض المؤرخين العرب القدامى من العلاقة بين القصص والتاريخ، انظر دراسة ألفت كمال الروبى ، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، مركز البحوث العربية ١٩٩١ ، ص — ص ١٥٨-١٦٨.

(٥٢) الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل ص ١٤ من المقدمة.

(٥٣) الطهطاوى: المرجع السابق ص ١٣ من المقدمة. وانظر أيضًا: الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ، مطبعة شركة الرغائب ١٩١٢ ، ص — ص ١٩٧-١٩٨ حيث يعرض الطهطاوى أفكارًا مماثلة لما قدمناه فى المتن .

(٥٤) الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل، ص ١٧.

(٥٥) الطهطاوى: المرجع السابق ص ١٧.

(٥٦) العبارات الأربع المنقولة فى المتن هى عبارات الطهطاوى فى: أنوار توفيق الجليل، ص — ص ٩-١٠.

(٥٧) حول تفاصيل هذه المواقف ، انظر: ألفت كمال الروبى: الموقف من القص، مرجع سابق، ص - ص ٥٩-٩٦ .

(٥٨) الطهطاوى: مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك ، المطبعة السورية ، بيروت بدون تاريخ ص - ص ٢-٣ من المقدمة. وقد ذكر عبد المحسن بدر أن هذه الترجمة قد طبعت سنة ١٨٦٧، انظر تطور الرواية العربية ص ٤١٣. ومن اللافت أن القصة عن الطهطاوى فى "مناهج الألباب" قد اقترنت - كثيرًا - بالقرآن الكريم ، وقد كرر فيه عدة مرات الإشارة إلى قصة يوسف ، وربط بين القصص القرآنى والعظة والعبرة ، من ناحية ، كما أخذ - من ناحية ثانية - يستنبط المعارف "التصورية والتصديقية" من قصة يوسف فى القرآن ، واللافت أيضًا أنه قد أخذ يستنبط منها الدلالات

الفكرية والتاريخية ، انظر: مناهج الألباب المصرية فـي مبـاهج الآداب العصرية ص-ص ١٨١-١٨٦.

(٥٩) الطهطاوى : المرجع السابق ص ٢٨.

(٦٠) الطهطاوى: مواقع الأفلاك، ص— ص ٢٨-٢٩ من ديباجة الكتاب.

(٦١) الطهطاوى: المرجع السابق ص ٢٤، وانظر ص— ص ٢٣-٢٤ حيـث يتحدث عن الأصل الأسطورى لتليماك.

(٦٢) الطهطاوى: مواقع الأفلاك، ص— ص ٢٧-٢٨، ويشير الطهطاوى إلـى أنه ينقل هذه الأخبار عن كتاب " حياة الحيوان" للدميرى.

(٦٣) الطهطاوى: المرجع السابق ص ٢٥.

(٦٤) الطهطاوى: نفسه ص ٢٨.

(٦٥) من المؤكد أن حديث الطهطاوى عن تبنى المؤلفين الفرنسيين فكرة تعـدد الآلهة كإله الجمال وإله العشق وغيرهما، وإن كـانوا فيمـا يقـول [لا يعتقدون ما يقولون ، وإنما هذا من باب التمثيل ونحـوه] - كـان يسـهم بطريقة غير مباشرة فى تهيئة أذهان المتلقين المصرييـن لتقبـل بعـض الأنواع القديمة الحديثة فى الأدب الأوروبى والتى تبنـى علـى أسـاس الأساطير ، أعنى المسرح أو التراجيديا بصفة خاصة، وهذا جانب يكشف عن ريادة الطهطاوى للتحديث ، حتى فى المجالات التى لم يعمـل بـها مباشرة وإن أتيحت له فرص الاحتكاك بها فى باريس.

(٦٦) قرن الطهطاوى فى مقدمته لمواقع الأفلاك بين تلك الروايـة ومقامـات الحريرى، كما أشرنا فى المتن. أما فى تلخيص الإبريز فقد ذكـر عـدداً كبيرًا من الكتب التى قرأها والمجالات التى اطلع عليها، وقـد وردت ص ٣٣٤ عبارة يقول فيها [وقرأت أيضاً (......) كثيـرًا مـن المقامـات الفرنساوية]. ويقول محمود فهمى حجازى فى تعليقه على هـذه العبـارة [استخدم الطهطاوى هنا كلمة المقامات الفرنساوية بمعنى القصص] . انظر

تلخيص الإبريز فى تلخيص باريس، دراســـة وتعليــق: محمـــود فـــهمى حجازى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

(٦٧) انظر الطهطاوى: تلخيص الإبريز، مرجع سابق، ص ٣٣٣ حيث يحـــدد كتب التاريخ والسير التى قرأها فى "بيت الأفندية" بباريس ، ويصف أحدها بأنه [يتضمن قصصاً وحكايات ونوادر] . وانظـر ص— ص ٤٨٤-٤٨٥ حيث يقدم محمود فهمى حجازى تعليقات وشروحًا بالغة الأهمية حول هذه الكتب.

(٦٨) عطية عامر : رفاعة الطهطاوى ..الناقد الأدبى، مرجع سابق، ص — ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٦٩) شلوفسكى: بناء القصة القصيرة والرواية ، ترجمة إبراهيـــم الخطيـــب ، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلى (نصوص الشـــكلانيين الروائييـــن) ، مؤسسة الأبحاث العربية — بـــيروت ، والشـــركة المغربيـــة للناشـــرين المتحدين ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٦. ونشير إلى أن كلمة "قصة قصيرة" هنـــا بمعنى حكاية أو وحدة سردية.

(٧٠) محمد القاضى: الخبر فى الأدب العربى: دراسة فى البنية السردية ، طبع كلية الآداب — منوبة ، تونس ، ودار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٣٦٦.

(٧١) انظر : ابن سيد الناس: عيون الأثر ، مرجع سابق ، الجزء الثـانى ، ص — ص ٣٦٤-٤١٧ .

(٧٢) انظر : أبو الفرج بن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد): ســـيرة عمر بن الخطاب ، عنى بضبطه وحل مشكلة، وعرضــــه علـــى كتـــب الحديث: طاهر النعسان الحموى وأحمد قدرى كيلانى ، المكتبة التجاريـــة الكبرى ، القاهرة ، بدون تاريخ.

(٧٣) محمد القاضى: الخبر فى الأدب العربى ، مرجع سابق ، ص٤٢٥.

(٧٤) انظر: جمال الدين الشيال ؛ التاريخ والمؤرخون ، مرجع سابق ، ص ٨١ ، حسين فوزى النجار: رفاعة الطهطاوى ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، أما كرابس چونيور فيرى أن هذا الجزء من كتاب الطهطاوى .. يمثل تقدما فى التكنيك – أى تكنيك الكتابة التاريخية ، ثم يرد ذلك إلى تأثر الطهطاوى بفولتير إذ يقول إن الطهطاوى قد استطاع [أن يضمن فى دراسته دراسة مستفيضة عن المؤسسات الإسلامية المبكرة – وهى بدعة هامة فى زمانه ، ربما يكون قد أوحى له بها قراءاته لتاريخ فولتير عن لويس الرابع عشر ، الذى حاز شهرة لهذا السبب Voltaire بالتحديد] كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر ، مرجع سابق، ص ص ١١١-١١٢.

(٧٥) انظر: أبو الحسن على بن محمد الخزاعى التلمسانى: تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٠ ، وتقوم بنية هذا الكتاب على مجموعة من الأبواب التى تنقسم بدورها إلى فصول ، ويتناول المؤلف فى كل فصل حرفة أو مهنة مما كان على عهد الرسول (ص) ، ويعد السرد عنصرًا أساسيًا من عناصر بنية الفصل فى هذا الكتاب إذ كان الخزاعى يبدأ كل فصل بتقديم أسماء الشخصيات التى مارست هذه المهنة أو تلك ، ثم يقدم مرويات ونقولاً من مصادر مختلفة تؤكد ما ذكره أو تثبته ، ثم يتبع ذلك بتقديم (أنساب وأخبار) هذه الشخصيات ، بينما يختم الفصل بتقديم بعض الشروح اللغوية التى تتصل بالمادة التى قدمها فى الفصل. انظر – على سبيل المثال – الباب الخامس وعنوانه (فى ذكر الخادم)، وهو يتكون من فصلين هما:(فى ذكر مَنْ تولى خدمة النبى "ص") و (فى ذكر أنسابهم وأخبارهم) ص – ص ٥٤-٥٦.

وقد لجأ الطهطاوى إلى إيجاز ما ورد فى هذا الباب وأدمجه فى بابين آخرين (من أبواب الخزاعى) وقدمها فى فصل واحد عنوانه (فى خدمه الخاصة به صلى الله عليه وسلم)، انظر: نهاية الإيجاز ، الجزء الثالث ، ص — ص ٥-١٦.

(٧٦) الطهطاوى: نهاية الإيجاز ، الجزء الثانى ، ص ٣٢٩.

(٧٧) انظر : الطهطاوى : أنوار توفيق الجليل ، ص— ص ٦٥٧-٦٦١.

(٧٨) انظر : نبيلة إبراهيم: السيرة النبوية بين التاريخ والخيال الشعبى ، عالم الفكر ، عدد مارس ١٩٨٢، ص ٣٣٥.

(٧٩) انظر : نهاية الإيجاز ، ص— ص ٢-٤ . وقد أصلت السيرة النبوية مبدأ البدء بتقديم نسب البطل فى كل السير الشعبية العربية ، انظر: أحمد شمس الدين الحجاجي: مولد البطل فى السيرة الشعبية ، كتاب الهلال، العدد ٤٨٤ ، إبريل ١٩٩١ ، ص٧٤.

(٨٠) حول حذف الأسانيد فى مختصرات كتاب الأغانى مثل "تجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى" لابن واصل الحموى (ت ٦٧٩) و " مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى" ، انظر: محمد القاضى: الخبر فى الأدب العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٥.

- ومن الملاحظ أن ابن الجوزى قد حذف الأسانيد فى كتابه "الوفا بأحوال المصطفى" رغبة فى الإيجاز وخوف إملال السماع ، وهذا ما جعل الوقائع تحتل مساحة موجزة — انظر على سبيل المثال — تقديمه لغزوة بدر ص — ص ٦٧٥ ، ٦٨٢ ، من الجزء الأول.

(٨١) انظر: الطهطاوى: نهاية الإيجاز ، مرجع سابق ص ٢٢. وانظر: سيرة ابن هشام الجزء الأول، ص-ص ٩٢-٩٣.

ومن اللافت أن بعض الكتاب "العقلانيين" من الجيل التالى للطهطاوى قد تقبلوا هذه الرؤيا — كما نجد عند طه حسين ومحمد حسين هيكل ، انظر: طه حسين: علىهامش السيرة ، مرجع سابق ، ص— ص ٣-٦ ، محمد

حسين هيكل: حياة محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص١١٦.

(٨٢) أحمد مطلوب: معجم النقد العربى القديم، الجزء الأول، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٩ ، وهو يعالج مصطلح الاستطراد ص-ص ١٤٨-١٥٣.

(٨٣) انظر أحمد مطلوب: المرجع السابق ص ١٥٢.

(٨٤) انظر: الطهطاوى: نهاية الإيجاز، ص-ص ٦٥-٨٠ ، وتجنبا لإطالة الهوامش سنشير إلى الصفحات داخل المتن.

(٨٥) انظر: نهاية الإيجاز ص-ص ٣٣-٣٤.

(٨٦) انظر: محمد القاضى: الخبر الأدب العربى، مرجع سابق ، ص-ص ٤٢٥-٤٢٦، حيث يمثل لهذه الظاهرة بتراجم كتاب الأغانى.

(٨٧) انظر: أبو محمد عبد الله بن عبد الحكيم: سيرة عمر بن عبد العزيز ، على ما روى الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد ، الطبعة الأولى بنفقة المكتبة العربية ، مصر ودمشق، ١٩٢٧. وانظر: أيضا: سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ، مرجع سابق ، وانظر ملاحظاتنا عليها فى الفقرة الخاصة بالوحدات السردية فى متن هذه الدراسة.

(٨٨) انظر نماذج مختلفة لهذه الاستطرادات فى المواضع التالية:

- ص — ص : ٣-٣٣ عن أبى لهب ، ص-ص ٤٢-٦٠ عن المولد النبوى، ص-ص ٦٥-٨٣ تنتشر استطرادات مختلفة لاسيما ص-ص ٧٠-٧٤ ، ٨٠-٨١ ، ٨١-٨٣. ص-ص ٩٦-١١٨ حيث يسرد وقائع الهجرة إلى الحبشة ، ص-ص ١٢٥-١٤٨ استطرادات مختلفة مرتبطة بالإسراء والمعراج.

أما فى الجزء الثانى فينظر — على سبيل المثال — عرضــه لوقــائع الهجرة، ص-ص ١٦-٣٩، حيث تبرز فيه اســتطرادات مختلفــة فــى الصفحات التالية : ٢١-٢٢، ٣٠-٣٣ ، ٣٦، ٣٧-٣٩.

(٨٩) انظر: نهاية الإيجاز ، ص-ص ٤٢-٦٤.

(٩٠) تناول الطهطاوى الهجرة إلى الحبشة ص — ص ٩٦-١١٨ ، وقد مضت كتابته على النحو التالى: بدأ بالحديث عن أسباب هذه الهجرة وبدايتها ص ٩٦ ، ثم عرض إسلام عمر بن الخطاب وما ترتب عليه ص — ص ٩٧-٩٨ ، ثم لجأ إلى قطع مطول للسرد حيث قدم واحــدا مــن اســتطراداته التعليمية ناقش فيه مسألة "الغرانيق" ص — ص ٩٨-١١٢ ، واللافــت أن هذا الاستطراد قد قاده إلى تناول الصفات التى يجب توفرها فى الأنبياء ، والصفات التى يجب ألا يتصفوا بها ، وذلك ما يشكل عرضــا لمســائل كلامية صرف داخل الاستطراد التعليمى (ص-ص ١٠٩-١١٢). وأعقب ذلك بتقديمه حكاية عثمان بن مظعون (ص-ص ١١٣-١١٤)، ثــم عــاد ثانية إلى مسألة الهجرة إلى الحبشة، ثم تناول مقاطعة قريش لبنى هاشــم ومسألة الصحيفة (ص-ص ١١٥-١١٦)، ثم قدم أخبارا عن إسلام الطفيل ابن عمرو الدوس (ص١١٦) ، وإسلام عشرين مــن نصــارى نجــران (ص١١٧) ، ثم قدم حكاية نعمان بن عدى (ص-ص ١١٧-١١٨) فيمــا يمثل آخر نماذج الاستطراد فى تلك الفقرة.

(٩١) انظر: نهاية الإيجاز ص-ص ١٢٣-١٢٤، وقد حكى ابــن عبــد الــبر الإسراء والمعراج فى خمسة أسطر فقط ، انظر الــدرر فــى اختصــار المغازى والسير، مرجع سابق ، ص ٦٩. بينما رواها ابن حزم فى صفحة إلا قليلا ، انظر: جوامع السيرة، ص٦٨.

(٩٢) انظر : نهاية الإيجاز ، ص — ص ١٢٥-١٤٨.

(٩٣) انظر: نهاية الإيجاز ، ص-ص ١٦-٣٩ ، وتمضى فيــها اســتطرادات الطهطاوى على هذا النحو: استطراد عن قول أبى بكر الشــعر ص-ص

٢١-٢٢ ، استطراد عن مسألة الرسول والشعر ص-ص ٣٠-٣٢ ، المفاضلة بين مكة والمدينة ص ٣٦ ، ثم الفرق اليهودية والتوراة وأسفارها ص — ص ٣٧-٣٩ .

(٩٤) من اللافت ما يقوله "كرابس چونيور" بصدد كتاب "مناهج الألباب" من أن الفصل الأول منه [بلا رابط] وليس له [موضوع أساسي واضح أو غرض] وأن الطهطاوى فيه كان [ينقلب سريعا جيئة وذهابا من التفسير إلى الحديث إلى الشعر]. وفى موضع آخر يصف كتابة الطهطاوى هذا الكتاب بأنه [كان فى الشكل شاردا ملأ عمله بالاستطراد وعدم التتبع] ، انظر: كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ١٠٧ ، ١١٤.

(٩٥) الطهطاوى : أنوار توفيق الجليل ، مرجع سابق ، ص ١٠. وقد ذكر الطهطاوى فى مقدمته لتخليص الإبريز أنه قد دون فيه "رحلة صغيرة وقد وشحها [ببعض استطرادات نافعة] انظر: تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، تحقيق وتعليق محمود فهمى حجازى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤ ، ص١٤١ (= ص٣ من المقدمة).

(٩٦) انظر: ابن هشام : السيرة النبوية ، الجزء الثانى ص-ص ٥٣٦-٥٥٧ ، ابن سيد الناس: عيون الأثر المجلد الأول ص-ص ٣٤٤-٣٤٩.

(٩٧) انظر ابن عبد البر: الدرر فى اختصار المغازى والسير ، مرجع سابق ، صفحات ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢-١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢١٢-٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧.

(٩٨) انظر المواضع التى يرد فيها الشعر فى الباب الأول— على سبيل المثال — فيما عدا الصفحات التى يتحدث فيها عن المولد النبوى(ص-ص ٤٢-٦٣) ، وهى فى الصفحات: ٤ وفيها ثلاثة نماذج ، ٧، ٨ ، وفيها نموذجان ، ١١ ، ١٥ ، ١٩، ٢٠ وفيها نموذجان ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ نموذجان ، ٢٩ وفيها ثلاثة نماذج ، ٣٢ ، ٣٣ ، وفيها نموذجان ، ٣٤، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٣٩ ، ٤٠-٤١ ، ٦٧ ، ٧٢ ، وفيها ثلاثة نماذج ، ٧٣ وفيها نمـاذج، ٧٣ — ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١.

أما المواضع التى تخلو من الأشعار فهى : الفصل الخاص برحلة الرسول (ص) إلى الطائف ، فى الباب الثانى ، والفصل الثالث من الباب الثـانى ص-ص ٤٠ — ٤٢.

(٩٩) من المواضع التى أورد فيها الطهطاوى قصائد طويلة: فى مدح السـيدة عائشة وذكر فضلها أورد قصيدة كمال الدين ابن العديم ، وهى تتكون من خمسين بيتا ، ص- ص ٣٠٥ — ٣٠٧ من الجزء الثانى.

وفى مسألة الاحتفال بالمولد النبوى أورد قصيدة لعبد العزيز الزمزمى، تقع فى سبع صفحات إلا قليلا ص-ص ٥٧ — ٦٣.

(١٠٠) الشاهد الوحيد الذى قدمه الطهطاوى من أشعاره هى القصيدة التى عـبر فيها حبه أهل البيت ومدحهم ، ص- ص٧٣— ٧٤.

(١٠١) انظر : نهاية الإيجاز، ص ١٥، ٦٠ .

(١٠٢) انظر: نهاية الإيجاز ص ٢١، وانظر نموذجا آخر ص ٣٢.

(١٠٣) نهاية الإيجاز ، ص — ص ٦٦ — ٦٧ .

(١٠٤) انظر الصفحات التالية فى "نهاية الإيجاز" :

- ص ٤ حيث يقدم ثلاثة أبيات لأبى طالب فى مدح النبى والفخر به .
- ص ٧ حيث يقدم جزءا من قصيدة لابن سيد الناس يحصى فيها مـا وافق أسماء النبى من أسماء الله الحسنى.
- ص- ص ٣٨ — ٣٩ حيث يسرد عن واقعة شق صدر النبى (ص) ثم يقدم مقطوعة من ستة أبيات تصف المواضع الثلاث التى تم فيـها ذلك .
- ص١٣٢ حيث يعرض أشعاراً فى مسألة الإسراء ، وهل كان الـروح والجسد أم بالروح فقط ، وذلك بعد أن ناقش المسألة.

(١٠٥) انظر: نهاية الإيجاز ، ص — ص ٤٠ — ٤١.

(١٠٦) انظر: نهاية الإيجاز ص ٢٩ ، وانظر أيضًا نموذجًا آخر ص ٣٣ ، حيث يحكى الطهطاوى واقعة تحقق نبوءة النبى (ص) لعتيبة زوج ابنته أم كلثوم، ثم يقدم بيتًا أشار فيه حسان بن ثابت إلى هذه الواقعة.

(١٠٧) انظر: نهاية الإيجاز ص-ص ٥٧-٦٣.

(١٠٨) انظر: نهاية الإيجاز ص : ١٤٠، ١٤٥ ، ١٤٧-١٤٨.

(١٠٩) حول تواتر هذه الظاهرة فى روايات مرحلة النشأة ، انظر:

- محمد يوسف نجم : القصة فى الأدب العربى الحديث مرجع سابق،ص ٢٠٢.
- إبراهيم السعافين: تطور الرواية العربية الحديثة فى بلاد الشام (١٨٧٠-١٩٦٧) ، وزارة الإعلام العراقية ، ١٩٨٠ ، ص ٩٤-٩٥ ، ١٠٩، ١١٨.

(١١٠) انظر وقائع بدر عن هؤلاء المؤلفين على النحو التالى:

- ابن هشام : السيرة النبوية ، الجزء الثانى ص- ص٤٤٠-٥٥٧.
- الواقدى: المغازى ، الجزء الأول، ص-ص ١٩-١٧١.
- ابن سيد الناس: عيون الأثر، الجزء الأول، ص-ص٢٩٠-٣٤٩.
- ابن عبد البر : الدرر فى اختصار المغازى والسير ، ص-ص ١١٠-١٣٨.
- ابن حزم : جوامع السيرة ، ص-ص ١٠٧- ١٥٤.

(١١١) انظر: الطهطاوى :نهاية الإيجاز ، الجزء الثانى ص-ص ٥١-٧٧.

(١١٢) الواقدى: المغازى ، ص٢.

(١١٣) انظر: محمد القاضى: الخبر فى الأدب العربى، مرجع سابق، ص ٥٠٣ حيث يتناول التدقيق بوصفه أسلوبًا من أساليب تفخيم الأخبار ويعرفه على النحو التالى [كثيرًا ما يرد الخبر مجملا فى مرحلة أولى ثم يرد بعد ذلك وقد ألحقت به تفاصيل تشرح غوامضه أو تضيف إليه جزئيات لم تكن

فيه أصلا] ، وهو يقدم ص-ص ٥٠٣-٥٠٧ أمثلة لفاعلية هذا الأسلوب في صياغة الأخبار في كتاب "الأغاني".

(١١٤) انظر: عبد الله إبراهيم: السردية العربية ، مرجع سابق ص١١٤.

(١١٥) انظر: الواقدي: المغازي، ص— ص ٢٠- ٢٧، وانظر: ابن حزم: جوامع السيرة ، ص — ص ١١٠-١١١.

(١١٦) انظر: الطهطاوي : نهاية الإيجاز ، ص ٥٣.

(١١٧) انظر: الواقدي: المغازي ، ص ٢٤ حيث يحدد أسماء بعض الصحابة الذين كانوا يتعاقبون على الإبل في مسير المسلمين نحو بدر.

(١١٨) انظر: الواقدي: المغازي ١/٢٩-٣١ ، وابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٤١ —٤٤٢.

(١١٩) انظر: الواقدي: المغازي ١/٣٣-٣٧.

(١٢٠) حول دور النبوءة في السير الشعبية العربية ، انظر دراستي أحمد شمس الدين الحجاجي:

- النبوءة أو قدر البطل في السيرة الشعبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٤.

- مولد البطل في السيرة الشعبية ، مرجع سابق ، فصل النبوءة.

(١٢١) انظر: عبد الله إبراهيم: السردية العربية ، مرجع سابق ، ص ١٦٥.

(١٢٢) من اللافت أن يضع محمود علي مكي كتابي ابن عبد البر وابن حزم في إطار ما سماه (الاتجاه العلمي النقدي) في كتابة السيرة النبوية بالأندلس ، انظر مقالته: السيرة النبوية في التراث الأندلسي، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ١٩٧٨، ص-ص ١٠٢-١٠٩.

(١٢٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٤٥ ، والواقدي: المغازي ١/٣٨.

(١٢٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٤٣-٤٤٤ ، الواقدي: المغازي ١/٣٨-٣٩ .

(١٢٥) انظر: الواقدي: المغازي ١/٤٢ ، ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٥٠.

(١٢٦) انظر الوقائع التى يقدمها الواقدى ص-ص ٤١-٤٢ ، وقارنها بما يقدمه ابن هشام ص٤٥٠.

(١٢٧) انظر — على سبيل المثال — جوامع السيرة ص-ص ١٠٨-١٠٩ حيث يبدو ابن حزم مهتما بتتبع تفاصيل الانتقال المكانى لجيش المسلمين ، ص-ص ١١٠-١١١ حيث يقدم خبرًا عن كيفية تعرف أبى سفيان على جيش المسلمين.

(١٢٨) من اللافت أن المنحى الأول يبرز فى الصفحات ٥١-٦٢ ، بينما يتبدى المنحى الثانى فى الصفحات ٦٣-٧٧.

(١٢٩) المثال الواضح لذلك يبدو فى إعادة وضع الطهطاوى لخبر اشتراك الملائكة فى بدر؛ فبينما قدم ابن إسحاق مرويات مختلفة عن اشتراك الملائكة فى القتال إلى جانب المسلمين فى بدر — فى نهاية سرده لوقائع القتال — فإن الطهطاوى قد قدم مضمون هذه المرويات فى إطار سرده للحظات التى سبقت القتال، فكان ذلك سبيلا لتحبيك السرد. انظر: ابن هشام ٤٦٢/٢-٤٦٣ ، الطهطاوى ص ٥٧.

(١٣٠) سيزا قاسم: الخطاب التاريخى من التقييد إلى الإرسال: قراءة فى الطبرى والمسعودى وابن خلدون ، ضمن كتاب:الأدب العربى : تعبيره عن الوحدة والتنوع، إشراف عبد المنعم تليمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٧، ص-ص ١٤٩-١٥٠.

(١٣١) انظر: الطهطاوى: نهاية الإيجاز، ص ٦٢ ، وانظر: ابن عبد البر: الدرر فى اختصار المغازى والسير ص-ص١١٧-١٣٨ ، حيث يقدم الفصول التالية: تسمية من استشهد ببدر من المسلمين ١١٧ ، تسمية من قتل ببدر من كفار قريش ١١٨-١١٩، تسمية من أسر ببدر من كفار قريش ١١٩-١٢١ ، تسمية من شهد بدرًا من الأنصار ١٢٥-١٢٨ ، تسمية من شهد بدرًا من الخزرج ١٢٩-١٣٨. بينما يعرض وقائع بدر ص-ص ١١٠-١١٦. أما ابن حزم فقد عرض الوقائع ص-ص ١٠٧-

١١٤، ثم قدم الأسماء فى ثلاث فقرات فقط على النحو التالى: تسمية من شهد بدراً من المسلمين رضى الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٤-١٤٦ ، ذكر شهداء بدر رضوان الله عليهم أجمعين ١٤٦-١٤٧ ، ثم ذكر من قتل من المشركين يوم بدر ١٤٧-١٥٢ ، بينما عرض الوقائع ص-ص ١٠٧-١١٤، انظر: جوامع السيرة.والملاحظ أن ابن حزم كان يذكر أسماء المشاهير فقط، وكان يقسم الأسماء تبعًا لانتماءاتها إلى بطون قريش، كما ذكر الأسرى فى إطار حديثه عن قتلى المشركين.

(١٣٢) انظر: نهاية الإيجاز ص ٥٢، ٥٣.

(١٣٣) انظر : نهاية الإيجاز ، ص — ص ٦٣-٧٣.

(١٣٤) انظر : نهاية الإيجاز ص-ص ٧٤-٧٧.

(١٣٥) انظر : الأشعار الواردة فى غزوة بدر فى نهاية الإيجاز فى الصفحات التالية: ٦٠، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٦٢ ، ٦٤ حيث تبدو نماذج الوظائف التى أشرنا إليها فى المتن ، وقد رتبنا ذكر صفحات الشواهد تبعًا لترتيب وظائف الأشعار المذكور فى متن الدراسة.

(١٣٦) انظر:

Roger, Allen: The Beginnings of the Arabic Novel, In: Modern Arabic Literature, edited by M.M. Badawi, Cambridge University Press, 1992, P. 183.

(١٣٧)حول هذه الكتابات، انظر مادة "محمد" فى:

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, V. VII, edited by: Gibb, Hamilton Alexander, Leiden- New York 1993, P-P 360- 387.

وقد ورد الحديث عن الكتابات الحديثة لسيرة النبى (ص) ص— ص ٣٨٢-٣٨٤ تحت عنوان "النصوص الى قدمت رؤية أقل تحيزًا" ، كما قدمت قائمة بالمؤلفات الفرنسية حول النبى ، ص— ص ٣٨٣-٣٨٤ ،

ولعل جدة هذه الكتابات أنها قدمت رؤية "منصفة" للنبى تختلف عن رؤية كتاب القرون الوسطى الذين غلب عليهم تقديم رؤية "سلبية"، لمزيد من التفصيل حول هذه الرؤية وأسبابها يمكن مراجعة الفصل الأول من الدراسة التالية.

Buaben, Jabal Muhammad: Image of the prophet Muhammad in the west: A study of Muir, Margoliouth and watt, published by the Islamic foundation, Markfield Dawah centre, printed in Geat Britain, 1996, P-P3 – 20.

(١٣٨) انظر الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل ، ص ٦٥٥ ، حيث يشير إلى موقف المستشرقين من الإعجاز والمشابه والمحكم فى القرآن ، حيث يقول إنهم يعدون ذلك [من المعايب] ويصفهم بشدة التعنت فى ذلك.

(١٣٩) فاروق خورشيد: فى الرواية العربية : عصر التجميع، الطبعة الثالثة ، دار الشروق، بيروت — القاهرة — ١٩٨٢ ، ص ١٨٧.

(١٤٠) فاروق خورشيد: المرجع السابق ص ١٨٧.

(١٤١) فاروق خورشيد: المرجع نفسه، ص ١٨٧ ، وانظر أيضا ص — ص ١٨٤-١٨٥ ، ١٨٨.

(١٤٢) حول دور مجلة روضة المدارس فى النهضة الحديثة يمكن مراجعة الدراسة التالية: عبد العزيز الدسوقى ومحمد عبد الغنى حسن: روضة المدارس: نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، دراسة نقدية تحليلية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

(١٤٣) مرڤيت الطرابيشى: رفاعة الطهطاوى رائد الصحافة العربية، ضمن كتاب رفاعة الطهطاوى رائد التنوير ، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣ ، ص ٢٩٥.

(١٤٤) غالى شكرى: المثقفون والسلطة فى مصر ، الطبعة الأولى، أخبار اليوم، ١٩٩١ ص٦٣ ، وانظر ص-ص ٤٥ —٧٢ ، حيث يحدد أنماط هـؤلاء المثقفين.

(١٤٥) انظر: محمود متولى: عصر رفاعة، ضمن كتاب: رفاعة الطهطاوى رائد التنوير، مرجع سابق، ص-ص ٢٤-٢٥ ، حيـث يعـرض الأسـباب المختلفة وراء نفى رفاعة إلى السودان، وإن كان يرجح أن سبب النفـى [هو أن رفاعة كان يؤيد المصرية الكاملة بينما كان عباس ومـن حولـه يؤيد تبعية مصر للعثمانيين].

(١٤٦) جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشـر، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(١٤٧) حول ما طرحه الطهطاوى عن الحرية فى تخليص الإبريز ، أنظر دراسة عزت قرنى: العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة، سلسـلة عالم المعرفة العدد ٣٠، المجلس الوطنـى للثقافـة والفنـون والآداب، الكويت ، يونيه ١٩٨٠ ، ص-ص ٣٦-٥٩.

(١٤٨) رفاعة الطهطاوى: مناهج الألباب المصرية ص ١٨٠.

(١٤٩) رفاعة الطهطاوى: مناهج الألباب ص ٣٥٣.

(١٥٠) رفاعة الطهطاوى: مناهج الألباب ص ٣٥٦.

(١٥١) رفاعة الطهطاوى: مناهج الألباب ص ١٦٧.

(١٥٢) نفس المرجع والصفحة.

(١٥٣) نفس المرجع والصفحة.

(١٥٤) الطهطاوى: مناهج الألباب ، ص ١٦٨.

(١٥٥) انظر: الطهطاوى : مناهج الألباب ص ١٧٨ حيث يقول [كانت حكمـاء مصر تذكر الملوك دائمًا بالحقوق والواجبات وتحثـهم علـى التمسـك بالفضائل الملوكية وتلعن من يصرفهم عنها من بطانـة السـوء وأهـل النفاق ، وكانت الملوك فى تلك الأوقات يشتغلون بمطالعة الحكم والآداب

والمواعظ والتواريخ وكل ما يرشد إلى العدل والاستقامة]. وانظر أيضـــا ص — ص ١٩٧-١٩٨ حيث يكشف عن تـــأثير قــص التــاريخ علـــى الإسكندر الأكبر.

(١٥٦) الطهطاوى: مناهج الألباب ص — ص ٣٥٥-٣٥٦.

(١٥٧) انظر: العدالة والحرية - مرجع سابق ، ص ٢٦ ، حيث يشير عـــزت قرنى إلى اتخاذ الطهطاوى أساليب التحفظ فى "تلخيص الإبريـــز" وهـــو بصدد الحديث عن الإفادة من الأفكار الأوروبية . وانظر أيضـــا: جـــاك كرابس چونيور ، كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر؛ مرجـع سابق ، ص ١٠٧ حيث يصف الفصـــل الأول مـــن "منـــاهج الألبـــاب" باللاترابط بسبب انتقال الطهطاوى فى حديثه من [التفسير إلى الحديث إلى الشعر] ، ويصف هذا بأنه [محاولة معتدلة عارضة لتقديم تبرير دينـــــى لبعض الأفكار الجديدة التى يقترحها أو يقدمها فيما بعد فى الكتاب]، ثـــم يعود چونيور فى هامش رقم ٤٦ ، ص ١٢٠ إلـــى القـــول [يحتمـــل أن الفصل الأول استخدم كستارة دخان لتجنـــــب اعتراضـــات المتحفظيـــن الدينيين].

المصادر والمراجع

أولاً: كتابات الطهطاوى ومترجماته:

- رفاعة رافع الطهطاوى: أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل ، تحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدارسات والنشر ، بيروت ١٩٧٤ ، وهو الجزء الثانى من الأعمال الكاملة ، ومنشور تحت عنوان "تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام".
- رفاعة رافع الطهطاوى: تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز ، تحقيق وتعليق محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .
- رفاعة رافع الطهطاوى: المرشد الأمين للبنات والبنين ، طبع بمطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩٢هـ.
- رفاعة رافع الطهطاوى: مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ، مطبعة شركة الرغائب ، ١٩١٢.
- رفاعة رافع الطهطاوى (مترجم): مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك ، المطبعة السورية ، بيروت ، ١٨٦٧.
- رفاعة رافع الطهطاوى : نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز، مجلة روضة المدارس (١٨٧٠- ١٨٧٧) الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية ١٩٩٨.

- رفاعة رافع الطهطاوى : نهاية الإيجاز فـــى سـيرة سـاكن الحجاز ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود وفاروق حامد بـــدر مكتبة الآداب ١٩٩٠.

<u>ثانيًا: المصادر العربية القديمة:</u>

- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بـــن محمـــد): سيرة عمر بن الخطاب ، عنى بضبطه وحل مشكله وعرضـــه على كتب الحديث : طاهر النعسان الحمـــوى وأحمـــد قـــدرى كيلانى، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون تاريخ،

- ابن الجوزى: الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق مصطفى عبـــد الواحد ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦.

- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد): جوامع الســـيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس ، وناصر الديـــن الأسد ، دار المعارف ١٩٥٦.

- الخزاعى (أبو الحسن على بن محمد الخزاعى التلمســـانى) : تخريج الدلالات السمعية على ما كان فـــى عـــهد رســـول الله صلى الله عليه وسلم مـــن الحـــرف والصنـــائع والعمـــالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ، المجلـــس الأعلـــى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٠.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحيم): السيرة النبوية ، صححه وخرج أحاديثه: أحمد البزرة الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ١٩٩٨.

- ابن سعد (محمد بن سعد) : الطبقات الكبرى ، طبع لجنة نشو الثقافة الإسلامية ، القاهرة، ١٩٣٩ .

- السهيلى (عبد الرحمن السهيلى) : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٧.

- ابن سيد الناس (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى اليعمرى) عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧.

- ابن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمرى): الدرر فى اختصار المغازى والسير فى تحقيق شوقى ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥.

- ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد ، الطبعة الأولى بنفقة المكتبة العربية ، مصر ودمشق ١٩٢٧.

- القاضى عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بـــن عيـــاض اليحصبى) : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيـــق علـــى محمد البجاوى ، مطبعة عيسى الحلبى ، القاهرة ١٩٧٧.

ثالثاً: الروايات والأعمال الإبداعية :

- جرجى زيدان: العباسة أخت الرشيد، سلسلة روايات جرجـــى زيدان – بيروت – دون تحديد للناشر أو سنة النشر.
- جرجى زيدان : فتاة غسان ، دار الهلال ، ١٩٨٣.
- جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام فى دار السلام ، الطبعة الثانية ، مطبعة المؤيد ١٩٠٥.
- طه حسين: على هامش السيرة ، الطبعة الثامنة عشـــر ، دار المعارف ، ١٩٦٨.
- على مبارك : علم الدين ، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتـــاب ١٩٩٣.

رابعًا: المراجع والدراسات الحديثة:

- إبراهيم السعافين: تطور الرواية العربية الحديثـــة فـــى بـــلاد الشام (١٨٧٠-١٩٦٧) – دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافـــة والإعلام ، بغداد ١٩٨٠ .

– أحمد أحمد بدوى: رفاعة الطهطاوى بك ، لجنة البيان العربى ١٩٥٠.

– أحمد أمين : ضحى الإسلام ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.

– أحمد درويش : تقنيات الفن القصصى عبر الراوى والحاكى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٨.

– أحمد شمس الدين الحجاجى: مولد البطل فى السيرة الشعبية ، كتاب الهلال ، عدد إبريل ١٩٩١.

– أحمد شمس الدين الحجاجى : النبوءة أو قدر البطل فى السيرة الشعبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٤.

– أحمد مطلوب: معجم النقد العربى القديم ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩.

– ألفت كمال الروبى: الموقف من القص فى تراثنا النقدى ، مركز البحوث العربية ، القاهرة ١٩٩١.

– جمال الدين الشيال : رفاعة الطهطاوى ، دار المعارف ١٩٥٨.

– جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠.

- جونس مارسدن: مقدمة تحقيقه لكتاب المغـــازى للواقـدى ، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

- حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى : رائد فكـر وإمـام نهضة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.

- رضوان السيد حضور الـتراث فـي كتابـات الطـهطاوى: الوظائف والدلالات ، دراسة غير منشورة.

- سيزا قاسم : الخطاب التاريخى من التقييـد إلـى الإرسـال: قراءة فى الطبرى والمسعودى وابن خلدون ، ضمن كتـاب : الأدب العربى: تعبيره عن الوحدة والتنـوع ، إشـراف عبـد المنعم تليمة ، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة ، بـيروت ١٩٨٧.

- طه وادى : الشعر والشعراء المجهولون فى القـرن التاسـع عشر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٩٥.

- عبد العزيز الدسوقى ومحمد عبد الغنـى حسـن : روضـة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية، دراسـة نقديـة تحليلية ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥.

- عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية فى مصر ، الطبعـة الثالثة ، دار الفكر العربى ١٩٦٣.

– عبد الله إبراهيم: السردية العربية: بحث فى البنيـــة الســـردية للموروث الحكائى العربى، الطبعة الثانية، المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٠.

– عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربيـــة الحديثـــة فـــى مصـــر (١٨٧٠–١٩٣٨) الطبعـــة الرابعـــة ، دار المعـــارف ١٩٨٣.

– عزت قرنى: العدالة والحرية فى فجر النهضة العربية الحديثة سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠ ، المجلس الوطنـــى للثقافـــة والفنون والآداب ، الكويت ، يونيه ١٩٨٠.

– عطية عامر : رفاعة الطهطاوى .. الناقد الأدبـــى ، ضمـــن كتاب : شوقى ضيف: سيرة وتحية (دراسات فى النقـد والأدب واللغة) إشراف طه وادى، دار المعارف ١٩٩٢.

– على شلش : نشأة النقد الروائى فى الأدب العربى الحديـــث ، مكتبة غريب ١٩٩٢.

– عمر الدسوقى: نشأة النشر الحديـــث وتطـــوره ، دار الفكـــر العربى ، بدون تاريخ .

– غالى شكرى : المثقفون والسلطة فى مصر ، الطبعة الأولـــى أخبار اليوم ١٩٩١.

- فاروق خورشيد: فى الرواية العربية: عصر التجميع، الطبعة الثالثة ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ١٩٨٢ .

- محمد حامد الحضيرى: رسول الإنسانية محمد صلوات الله عليه فى الأدب الحديث ، رابطة الأدب الحديث ، القاهرة ١٩٩٠.

- محمد عبد الغنى حسن: التراجم والسيرة ، دار المعارف ١٩٥٥.

- محمد القاضى: الخبر فى الأدب العربى : دراسة فى البنية السردية ، طبع كلية الآداب – منوبة ، تونس ، ودار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٨.

- محمد يوسف نجم : القصة فى الأدب العربى الحديث فى لبنان حتى الحرب العظمى، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٢.

- محمود متولى: عصر رفاعة ، ضمن كتاب رفاعة رائد التنوير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣.

- مرڤيت الطرابيشى: رفاعة الطهطاوى رائد الصحافة العربية، ضمن كتاب: رفاعة الطهطاوى رائد التنوير ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٣.

- محمد حسين هيكل : حياة محمد ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠.

- محمد الخضرى: نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، تحقيق أحمد عبد اللطيف ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦.

<u>خامسًا: مقالات الدوريات:</u>

- عبد الحميد بورايو: المغازى لون من السير الشعبية العربية ، مجلة الفنون الشعبية ، عدد ٥١ ، إبريل – يونيه ١٩٩٦.

- محمد عبد الغنى حسن : سيرة محمد فى الأدب الحديث ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ١٩٧٨.

- محمود على مكى : السيرة النبوية فى التراث الأندلسى ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ١٩٧٨.

- نبيلة إبراهيم السيرة النبوية بين التاريخ والخيال الشعبى ، مجلة عالم الفكر ، عدد مارس ١٩٨٢.

<u>سادسًا: المراجع المترجمة:</u>

- چونيور ، جاك كرابس : كتابة التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر: دراسة فى التحول الوطنى ، ترجمة وتعليق عبد الوهاب بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.
- شلوفسكى: بناء القصة القصيرة والرواية ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلى (نصوص الشكليين الروس) ، مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت ، والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ١٩٨٢.

سابعًا: المراجع الأجنبية:

- Buaben, Jabal Muhammad : Image of the Prophet Muhammad in west: A study of Muir, Margoliouth and watt, Printed in great Britain 1996.
- Roger, Allen : the Beginnings of the Arabic novel, in : Modern Arabic literature, ed. By M.M. Badawi, combridge University Press 1992
- The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden – New York, 1993
- Wessels, Antonie: Modern Biographies of the Prophet Muhammad in Arabic, in: Islamic culture, V. 49, N2, 1975.



المحتوى

